

الدكتور السيد الجملي

خمسة وعشرون سؤالاً

عن

نعيم القبر وعذابه



دار ومكتبة الهلال

خمسة وعشرون سؤالاً عن نعيم القبر وعذابه

تأليف
الدكتور السيد الجميلي

دار ومكتبة الهلال
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

ومسجلة للنشر

1999

دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بئر العبد - شارع مركزل - بناية برج الضاحية - ملكدار ومكتبة الهلال
تلفون: 601020 / 601002 / 551305 (01) قسم: 1216 خليوي: 672366 (03)
فاكس: 1817745 (961) - ص.ب.: 5003 / 15 - بيروت - لبنان



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ (١) .

صدق الله العظيم

(١) إبراهيم (١٤/ ٢٧) .

إهداء

إلى أهل الفضل في غربتهم . . .
ثم إلى الغرباء بفضيلتهم ، فتوبى لهم . .
أهدي هذه الدراسة .

السيد الجميلي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد

إن الموت مصيبة كبرى تأتي على الحياة لتهدمها ،
وتنقضها ؛ لكي يتحول الإنسان ، ويتقل بالموت من حال إلى
حال ، فليس الموت عدماً محضاً ، وليس هدماً مطلقاً ، ولكنه
نقلة من هنا إلى هناك .

بينما يتوهم كثيرٌ من الناس أن الموت هو نهاية كل شيء
تماماً ، فإن الواقع يؤكد أنه بداية أخرى لحياة أخرى أبدية ،
حافلة بالأحداث الجسام .

" الناس نيامٌ حتى إذا ماتوا انتبهوا "

هذا يؤكد أن الحياة بما فيها من غفلة ، وفتنة ، وهو ما هي

إلا حلقة محدودة من سلسلة متصلة الحلقات ، أو جزء محدود من الكل غير المحدود .

ثم إن من مات فقد قامت قيامته ، ومن ثم فإن لكل أحد قيامته ، وفي الأخبار والآثار الصحيحة ، ما يدل على ذلك .

سوْغان ، وسيان ، وشرجان أمام الموت قِيَمُ العشيرة شيخها ، وشرخها ، مثلان بإزائه كبيرها وصغيرها ، لا يتخطى محدثا ليعرج على معمر ، ويتلوم عليه ، وهو عَيَّانٌ قرْمٌ موزعٌ بالبشر ، منهم بهم يُفَرِّقُ الفتهم ، ويباعد بين الأحبة ويسوق الأرواح إلى قصبات الردى ، وهو يفرق المجموع من خلصان الخلان ، ويجمع تحت الثرى المتفرق من الأضداد وذوي الأصنفان .

إن الموت خير واعظ للبشر ؛ فهو يبرهن للعيان أيلولة العمر مهما طال إليه ، وانتهاء الحياة مهما امتدت ، وهو الصارم الحازم الذي لا يقبل مراوغة أو مراودة .

إن منهاجه وأسلوبه يسلب العقول ، ويشدد النكير على المناكير الذين يَرَوْنُ منه واعظاً جاداً حازماً ثم لا ينتهون ، ولا يرعوون ، وهم في غَيِّهم وجهالتهم سادرون ، وقد انحلت عروتهم ، وانقرط عقد نظامهم ، وتصرمت شعرة معاوية فيما بينهم .

إن الموت لا يقبل عوضاً ، ولا ينشد بديلاً عن المرصود

المستهدف ، وكم تمنى ورغب عزيزاً أن يفتدي عزيزاً عليه
بروحه ، وحشاشته ، بيد أن المطلوب غير معدول عنه إلى سواء ،
والناس كلهم أخيفاً وأوزاعاً وعامة يعرفون ذلك حق المعرفة ،
وحق اليقين وللأسف لم يعملوا لهذه اللحظات الحاسمة ، ولم
يستعدوا لها ما خلا قليلاً منهم وهم الصالحون الناجون بإذن الله
من غضبه وعقابه ، لكن الجمهرة يرون النذير كل يوم فما ثبتوا
ولا أختبوا ، وهم يتجاسرون على حرمان الله .

إن الحياة بعد الموت قضية محسومة ، مقطوع بها ، لا مرية
فيها ، لا يخالطها ترجم ، ولا يداخلها تظني ، ولا يخالجهما
حدس ولا يخامرهما تحزير ، ولا يقربها تحرص أو إرجاف - وهي
حياة أبدية خالق بها وقمين بخطورتها ودرجتها من الأهمية
والإعتبار ، أن تكون غاية وهدفاً نبيلاً ، ومقصداً لا مصرف عنه
ولا تحويل عن التفكير فيه ، فإن الناجين منعمون في هذه
الحياة ، والهالكين معذبون عذاباً وبيلاً ، فنسأل الله اللطف
والسلامة .

من أجمل ما قرأت في هذا الصدد ما ذكره الجاحظ في
البيان والتبيين في تعزية بعض الملوك حيث قال قائل : " إن
الخلق للخالق ، والشكر للمنعم ، والتسليم للقادر ، ولا بد
عما هو كائن ، وقد جاء ما لا يرد ، ولا سبيل إلى ما قد فات ،
وقد أقام معك ما سيذهب عنك أو ستركه ، فما الجزع مما لا بد
منه ؟ وما الطمع فيما لا يرجى ؟ وما الحيلة فيما سينقل عنك ،

أو تنقل عنه ؟ وقد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد
ذهاب الأصل ؟

أهل الدنيا في سفر لا يحلون الركائب إلا في غيرها وما
أحسن الشكر عند النعم ، والتسليم عند الغير .

إن المصيبة من المصيبة سوء الخلف منها ، إن نسيت
الصبر ، فلا تنس الشكر ، وكلاً فلا تدع ، واحذر من الغفلة
استلاب النعم ، وطول الندامة " أهـ . بتصرف .

فلا تنال نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يجاد بصديق صدوق
إلا بفراق ومزايلة حبيب وديد خدين ، ولا يستقبل امرؤ يوماً
من عمره إلا بقدر ما ينفلت من عمره مقابل له ، ينهدم من
أجله لأجله ، ولا يزداد من أكله إلا بنفاد ما يوازيه من رزقه .

إننا أعوان الختوف على أنفسنا ، وما رفعت شؤون إلى غاية
المرتقى ، إلا تظاهرت عليها الأيام لنقضها ، ودحضها
ورحضها .

وما اجتمع خلصاء إلا كان التفريق ساعياً إليهم ، آتياً
عليهم ، وإن خيراً من الخير معطيهِه ، وإن شراً من الشر
فاعله .

لما كانت الحياة بعد الموت حقاً لا تخالجه ريبة كما أسلفنا

وإما كان نعيم القبر وعذابه حقاً لا اختلاف عليه ، كان أيضاً حقاً علينا لك أيها القارىء ، وواجباً شرعياً صريحاً محضاً - أن تعاود الكلام عليه ، والحديث عنه ، وبسط القول في مواضع الإثارة فيه ، فإن الأمر جد خطير ، والأحداث جسام .

إننا بواشجة الدين ، وعروة الإسلام نقدم إليك أيها القارىء هذه التذكرة ، ونحن نذكر أنفسنا ونذكرك دائماً بالمسارعة المسارعة والنجاء النجاء فإن النهاية غيبٌ غير معروف ، فالبدار البدار قبل أن يولي العمر ، وقبل فوات الأوان - المسارعة بالعمل الطيب المبرور المحض الخالص المقصود به وجه الله الكريم .

في هذا الكتاب جمعنا متفرقاتٍ أشتاتاً من أسئلة القراء التي وصلت إلينا على مدى بعيد من مختلف أرجاء المعمورة ممن قرأوا ما كتبناه في هذا الموضوع سلفاً ، وأرادوا مزيداً من الإيضاح لما استعجم عليهم أمره .

وقد عمدنا إلى ترتيب هذه الأسئلة ، وبذل قصارى الجهد في اختصار الإجابة وتركيزها في بعض الأحيان ، مع الشمول والإحاطة .

هذا ما وفقنا إليه فإن كان ثمة سهو أو خطأ ، أو نسيان

فمن الشيطان ومنى ، وحسبى أننى قد أفرغت الجهد ، وصرفت
الهمة إليه ، وأخلصت النية ، وإن كان ثمة توفيق وتسديد فمن
الله تعالى وهو على كل خير مستعان به .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على
المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

القاهرة في يناير ١٩٩٢ م ، رجب ١٤١٢ هـ

السيد الجميلي

القبر ومنزلته

" ما أصل تسمية القبر وما حكمه ، وما منزلته بين الدنيا والآخرة ؟ "

القبر واحد القبور ، وهذا جمع كثرة ، وجمع القلة منه أقبر.

قيل إن أول من سَنَّ القبر الغراب عندما قتل قابيل أخاه هابيل ، فلما أخذته الحيرة ، قَيَّضَ الله تعالى له غراباً يريه كيف يوارى سوءة أخيه . وعلى لسانه قال تعالى : ﴿ يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين ﴾ (١) .

(١) المائدة (٣١/٥) .

قال المفسرون : لم يكن ندمه على قتل أخيه ، بل على حمله على عنقه أو على عدم اهتدائه للدفن الذي تعلمه من الغراب ، أو على فقد أخاه ، أو على قتل أخيه ، لكن مجرد الندم ليس بتوبة ، إذ إن التوبة تتحقق بالإقلاع ، والعزم على عدم العودة ، وتدارك ما يمكن تداركه . قال ابن عباس : لو كانت ندامته على قتله ، لكان الندم توبة له .

القبر إذا جُعِلَ لمواراة الميت ، إكراماً له ، فلم يجعله مما
يلقى على وجه الأرض تأكله الطير والعوافي .
قال تعالى : ﴿ ثم أماته فأقبره ﴾ (١) .
يقول اللغويون : قبرتُ الرجل ؛ أي دفنته ، وأقبرته :
جعلت له قبراً يدفن فيه .

أما حكم القبر أن يكون مسنماً مرفوعاً على وجه الأرض
قليلاً ، غير مبني بالطين والحجارة والجص ، حيث إن ذلك
منهي عنه . وقد روى الإمام مسلم في صحيحه ، وخرّج الإمام
الترمذي في جامعه الصحيح كلاهما عن جابر - رضي الله عنه - "
نهى رسول الله ﷺ أن يخصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى
عليه " وهذه الرواية بلفظ مسلم " (٢) .

ورواية الترمذي بلفظ : " نهى رسول الله ﷺ أن تخصص
القبور ، وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ " .
قال أبو عيسى : " هذا حديث صحيح " (٣) .

وفي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي ، قال : قال لي
علي ابن ابي طالب - رضي الله عنه - ألا أبعثك على ما بعثني عليه
رسول الله ﷺ ؟ لا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا
سويته " (٤) .

(١) عبس (٢٧٨٠) راجع كلام أبي عبيدة والفراء في الطبري (٣٠/٣٦)
والقرطبي (١٩/٢١٧) ولسان العرب (٤/٣٧٩) والخازن (٤/٢١٠) .

(٢) مسلم (٢/٦٦٧/٩٧٠) .

(٣) الترمذي (١٠٥٢) .

(٤) مسلم (٢/٦٦٦/٩٦٨ ، ٩٦٩) .

وفي سنن أبي داود ومن مراسيله عن عاصم بن أبي
صالح: " رأيت قبر النبي ﷺ شبراً أو نحو شبر يعني في
الارتفاع " (١).

أما منزلة القبر فإنه أول منازل الآخرة ، لقوله ﷺ في
الحديث المروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه - : أن رسول
الله ﷺ قال : " إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه أحد ،
فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه " (٢).
ويقول ﷺ : " ما رأيت منظراً قط ، إلا والقبر أفظع
منه " (٣).

وخرج ابن ماجه في السنن عن البراء : قال : كنا في
جنازة مع رسول الله ﷺ ، فجلس على شفير القبر فبكى ،
وأبكى حتى بل الثرى ثم قال :
" يا إخواني ، لمثل هذه فأعدوا " (٤).

(١) أبو داود في السنة .

(٢) ابن ماجه (٤٢٦٧) والمقاصد الحسنة (٣٠٢) والكشف (٩٠ / ٢) .

(٣) الترمذي (٢٣٠٨) .

(٤) ابن ماجه (٤١٩٥) .

تأذي الميت من جار السوء

ما حقيقة أن الميت يتأذى من جار السوء ؟ وهل ورد في الأخبار الوثيقة ما يدل على ذلك ويدعمه ؟؟ ..

ورد عن مالك بن أنس عن عمه نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :

" ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين . فإن الميت يتأذى بالجار السوء " ^(١) بيد أن فيه سليمان بن عيسى متروك ولئن كان الإنسان في الحياة الدنيا الفانية يتأذى بجار السوء ، فإنه في الحياة الباقية الخالدة أكثر تأذياً ، وأشد ضيقاً بالجار السوء .

(١) ضعيف الجامع (٣٦٣) والمقاصد الحسنة (٤٧) والخلية (٦/ ٣٥٤) لذلك قال علماؤنا : « يستحب أن تقصد بميتك قبور الصالحين ، ومدافن أهل الخير، فتدفنه معهم ، وتنزله بإزائهم ، وتسكنه بجوارهم » أهـ .

ولعل هذا محمول على تأثير الميت بالجوار السوء من جهة
إشفاقه عليه ، وحده لما يعاني منه (١) .
أما القائلون بأن أحداً يحمل عن أحد شيئاً ، فهم بذلك
من الغالين في الرأي والنظر ، لأن قولهم معارض للأخبار
الصحيحة الصريحة المنصوص عليها في القرآن الكريم والمتواترة
في السنة الشريفة .

(١) لئلا يتوهم واهم أن هذا التأذي عذاب ، لأن أحداً لا يحمل عن أحد
شيئاً ، لقوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقوله تعالى : « كل نفس بما
كسبت رهينة » .

كلام القبر للمقبور ، إذا وضع فيه

" . . قيل إن للقبر كلاماً للمقبور إذا وُضِعَ ، وأُدرِجَ فيه ، واختلف في ذلك ، فهل هذا على الحقيقة ؟ وما مدى صحة ذلك ؟ . . "

ورد في صحيح الترمذي^(١) عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى ناساً يكثرون ، فقال : أما أنكم لو أكثرتم ذكر هازم اللذات الموت ، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه ، فيقول : أنا بيت الغربية ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب ، وأنا بيت الدود . فإذا دفن العبد المؤمن ، قال له القبر : مرحباً وأهلاً ، أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إليّ ، فإذا وليتك اليوم ، وصرت إليّ فسترى صنيعي بك فيتسع له مد بصره ، ويفتح له باب إلى الجنة ، وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر : لا

(١) الترمذي (٢٤٦٠) .

مرحباً ، ولا أهلاً . أما إن كنت أبغض ما يمشي على ظهري
، فإذا وليتك اليوم ، وصرت إليّ فسترى مني بك ، ٩ إلى
قال : " ويلتئم عليه حتى يلتقي ، وتختلف أضلاعه " قال :
قال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض .
قال : " ويقبض الله له تسعين تيناً ، أو قال : تسعة وتسعين ،
لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبت شيئاً ما بقيت الدنيا -
فتنهشه حتى يفضي به إلى الحساب ، قال : وقال رسول الله
ﷺ : " إنما القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر
النار " (١) .

وقد قال بعض الحفاظ : إنه ضعيف .
وورد في بعض الأخبار : يجعل الله للقبر لساناً ينطق به
فيقول :

" يا ابن آدم كيف نسيتني ؟ أما علمت أني بيت الدود ،
وبيت الوحدة ، وبيت الوحشة " (٢) .
وذكر الإمام القرطبي في التذكرة (٣) .

" يقول القبر للميت إذا وضع فيه : ويحك يا ابن آدم ، ما
غرك بي ؟ ألم تعلم أني بيت الفتنة ، وبيت الظلمة وبيت الدود ،
ما غرك اذ كنت تمر بي فداداً ؟ قال : " فإن كان مصلحاً ،

(١) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب . الترمذي (في الجامع الصحيح)
والمقاصد الحسنة للسخاوي (٣٠٢) والكشف (٩٠/٢) وضعفه السخاوي .
(٢) التذكرة للقرطبي (١٤٧/١) بتحقيق السيد الجميلي .
(٣) السابق (١٤٨/١) بتصرف .

أجاب عنه مجيب القبر ، فيقول : " أرأيت إن كان ممن يأمر
بالمعروف ، وينهى عن المنكر " ؟ قال : فيقول القبر : ﴿ فإني
أعود ، عليه خضراً ، ويعود جسده نوراً ، وتصعد روحه إلى
رب العالمين ﴾ (١) .

ذكر عن ابن المبارك أنه قال : أخبرنا داود بن ناقد ، أنه
قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : بلغني أن
الميت يقعد في حفرة ، وهو يسمع وخط مشيعيه ، ولا يكلمه
شيء من حفرة ، فتقول : ويحك يا ابن آدم ، أليس قد
حذرتني وحذرت ضيقي ، وظلماتي ، ونتني ، وهولي ، هذا ما
أعددت لك ، فما أعددت لي ؟ (٢) .

وسواء كان هذا الكلام على الحقيقة ، أو على سبيل
المجاز ، فإن العبرة قائمة ، وإن كان على لسان الحال فهو لم
يتعد الحقيقة ، ولم يخرج عن الواقع .

(١) الفداد : هو الذي يقدم رجلاً ، ويقدم أخرى .

(٢) قيل لبعض الزهاد : ما أبلغ العظاات ؟ قال : النظر إلى محلة الأموات .
وقال سفيان الثوري : من أكثر ذكر القبر ، وجده روضة من رياض الجنة ،
ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار .

ضغطة القبر للصالح والطالح

" . . . ما حقيقة ضغطة القبر ؟ وهل تكون للرجل الطالح وحده أم أنها قد تحدث للصالح كذلك ؟ وهل من أدلة جلية على ذلك ؟؟ . . " .

ضغطة القبر حق . ويؤكد ذلك أكثر من دليل وبرهان من المرويات والأحاديث الصحيحة وهي تحدث للمؤمن الصالح ، كما تحدث للطالح والمجرم الأثيم . . . بيد أن البون شاسع ، والفرق جد كبير بين هذا أو ذاك . . . فهي للمؤمن تمحيص وتطهير ، ورفع لدرجته عند ربه ، وهي للفاسد الفاسق الأثيم المجرم زيادة إعنات ، وتشديد وإحصار عليه .
ورد في حديث شعبة بن الحجاج بإسناده عن عائشة - رضي الله عنه - قالت : قال رسول الله ﷺ : " إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ "

وورد في الآثار أن جنازة سعد بن معاذ قد شهدها سبعون ألف ملك .

ذكر القرطبي ^(١) أنه قال ﷺ : " لقد ضم صاحبكم في القبر ضمة " .

ذكر الإمام النسائي ^(٢) عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال : " هذا الذي تحرك له عرش الرحمن ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة ، لقد ضم ضمة ، ثم فرج الله عنه " .

إذا كان سعد بن معاذ هذا الذي اهتز له عرش الرحمن قد ضم في قبره هذه الضمة ، وهو من هو . . . فما بالنا نحن المذنبين المقصرين . . . ألسنا في غفلة ، وأليس خليقاً بنا أن نصرف الهمة إلى هذا الأمر الخطير بالمسارعة إلى التوبة والإنابة والعمل الصالح ومع هذا كله ، وقبله حسن الظن بالله تعالى ؟ بلى ورب الكعبة .

ليس هذا وحسب ، بل إن زينب بنت رسول الله ﷺ قد ضغطها القبر ضغطة شديدة ، فلما دعا لها أبوها عليه الصلاة والسلام سُري عنها ^(٣) .

(١) التذكرة بتحقيق السيد الجميلي (١/ ١٥٠) .

(٢) السنن (٤/ ١٠٠) قال أبو عبد الرحمن النسائي : يعني سعد بن معاذ .

(٣) ذكر القرطبي في التذكرة (١/ ١٥١) أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ذكرت ابنتي وضعفها ، وعذاب القبر ، فدعوت الله ففرج عنها ، وإيم الله . لقد ضمت ضمة سمعها ما بين الخافقين » أهـ . بتصرف .

أفليس هذا بدليل على خطورة الموقف ، وشدة الأمر وصعوبة المقام ؟ بلى ورب الكعبة . . . لكن ثبت أن فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أم علي بن أبي طالب قد نجت من عذاب القبر .

قال ﷺ : " ما عُفي أحدٌ من ضغطة القبر ، إلا فاطمة بنت أسد " .

قيل : يا رسول الله : ولا القاسم ابنك ؟ قال : " ولا إبراهيم " وكان أصغرهما (١) .

وقد ورد أنه ﷺ لما ماتت فاطمة بنت أسد ، دخل عليها ، وجلس عند رأسها فقال : رحمك الله يا أمي ، كنت أمي بعد أمي ، تجوعين وتشبعيني ، وتعرين ، وتكسينني ، وتمنعين نفسك طيب الطعام ، وتطعميني ، تريدين بذلك وجه الله ، والدار الآخرة .

وعندما حفر قبرها ، وبلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال : " الحمد لله الذي يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، إغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها بحمد نبيك والأنبياء الذين من قبلي إنك أرحم الراحمين (٢) .

(١) قطعة من حديث طويل ، رواه أبو نعيم الحافظ عن عاصم الأحول ، عن أنس بنحوه ، ونقله الإمام القرطبي في التذكرة (١/ ١٥١) .

(٢) بعد ذلك كبر عليها أربع تكبيرات ، ثم أدخلها اللحد ، هو وعمه العباس ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين .

يعذب الميت بما نوح عليه

كيف يعذب الميت ببكاء أهله عليه ، ما ذنبه فيما لم يكسبه ويقترفه هو ؟ أوليس هذا معارضاً لقوله تعالى في كتابه : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ؟؟ ﴾ .

حرّم رسول الله ﷺ النياحة ^(١) على الميت فقال عليه الصلاة والسلام : " أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة . وقال : النائحة إذا لم تتب قبل موتها ، تقام يوم القيامة ، وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب " ^(٢) .

ثم روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : " اثنان

(١) النياحة : العويل والنشيج المرتفع على الميت ، وهذا أمر زائد على البكاء ، قيل إن النوح ما كان الجاهليون يفعلون .

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (٢/ ٦٤٥) والبيهقي (٤/ ٦٣) من حديث أبي مالك الأشعري ، وحسنه السيوطي في الصغير (١/ ٣٧) .

في الناس هما بهما كفر : الطعن في النسب ، والنياحه على الميت " (١). بل إنه لما مات إبراهيم ابنه ﷺ قال : (٢) " ليس هذا مني ، إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ولا نقول ما يغضب الرب " وأخرج الشيخان في الصحيحين عن أنس بن مالك : أن عمر بن الخطاب لما طعن عوّلت عليه حفصة ، فقال : يا حفصة ، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : المعول عليه يعذب !! ؟

وعوّلت عليه صهيب يقول : وأخاه ! واصحابه ، فقال عمر : يا صهيب ، أما علمت أن المعول عليه يعذب !! ؟ وفي رواية : إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه ، وفي أخرى : من قبره بمانيح عليه (٣). وأخرج الشيخان أيضاً : " إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه " وفي رواية أخرى : " الميت يعذب في قبره بمانيح عليه " (٤) وقد أخرجه أبو داود في السنن (٣ / ٤٩٤ / ٢٩ / ٣) .

(١) مسلم (٩٢٧-٩٣٣) بنحوه والبيهقي (٦٣ / ٤) .
(٢) عن أبي هريرة ، وقد رواه الحاكم (٣٨٢ / ١) وابن حبان (٧٤٣) .
(٣) البخاري (١٨٠ / ٢ / ١٣٠٤) ومسلم (٦٣٨ / ٢ / ٩٢٧-٩٣٣) والبيهقي (٧٢ / ٧٣) والإمام أحمد في المسند (٣٦ و ٤٢) و (١ / ٤٥) عن عمر مختصراً ومطولاً ، وبنحوه .
(٤) أخرجه بنحوه البخاري ومسلم ، وأحمد في المسند (١ / ١ / ٤٢) .

كما أخرج الشيخان والبيهقي وأحمد في المسند أنه ﷺ قال : " من ينح عليه يعذب بهانيح عليه يوم القيامة " (١) .

قال علماؤنا ليس المراد بذلك مطلق البكاء في هذا الحديث والذي قبله ، بل المقصود النياحة ، إذ إن الحديث الذي قبله عام وهذا الحديث خاص . أو إن شئت فالأول مطلق والأخير مقيد . وكثير من الأصوليين يحملون المطلق على المقيد .

قيل إن هذا الحديث ، والذي قبله فيها إشكال حيث إن كلا الحديثين يتعارضان مع أصول الشريعة ، وقواعدها المتفق عليها ، لقوله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .

كما أن العلماء قد ذهبوا مذاهب شتى ، وذلك عندما سلكوا سبيل التأويل .

لكن صفوة القول الذي نراه حقاً وصدقاً وصواباً هو ما ذهب إليه الجمهور للتوفيق بين النصوص لدفع شبه التعارض هذا ، وهذا فحواه أن الحديث محمولٌ على من أوصى بذلك أي بالنوح عليه ، أو لم يوص بتركه مع علمه بأن الناس يفعلون ذلك عادة ، هذا هو الراجح الذي نرتضيه ونطمئن إليه .

أما القول الأخير ، وهو أقل رجحانا ، وأدنى حجية ، أن

(١) المسند (٦١/٢) و (٤/٢٤٥ و ٢٥٢ و ٢٥٥) .

مذب (أي يتألم بسماعه البكاء ، والنياحة من أهله ،
رسد في البرزخ وليس في عرصات القيامة ، وليس هذا عقاباً على
ذنب ، ولكنه عذاب - وهو أعم من العقاب - وهو تعذيب وتألم
وقد اعتمد هذا الرأي شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن قيم
الجوزية ، وشيخ المفسرين الإمام محمد ابن جرير الطبري ،
وغيرهم .

عذاب القبر حق

" . . . قال ﷺ في الحديث الصحيح (عذاب القبر حق) ونريد دليلاً على ذلك من القرآن الكريم ، مع التفضل ببيان وتوضيح هل هذا العذاب مستمر أم موقوت محدود بفترة معينة ، يتوقف بعد ذلك؟ . . . " .

نعم لقد قال ﷺ : " عذاب القبر حق " (١) وقد ورد في القرآن الكريم بصريح النص التقرير بذلك في قوله تعالى : ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ (٢) .

(١) التذكرة للإمام القرطبي ، بتحقيق السيد الجميلي .

(٢) غافر (٤٠/ ٤٦) كما ورد في تفسير القرطبي (٣١٩/ ١٥) الحديث أن أرواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار تعرض على النار بالغداة والعشي « أهـ . بتصرف ويقول الزمخشري في تفسيره الكشاف (٤٣٠/ ٣) : « ويستدل بهذه الآية على إثبات عذاب القبر » أهـ . وهذا ما قرر الفخر الرازي في التفسير الكبير (٢٧/ ٧٤) .

قال المفسرون : المراد بالنار هنا (نار القبر) وعذابهم في القبور ، بدليل قوله بعده : ﴿ ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ أي ويوم القيامة يقال للملائكة أدخلوا فرعون وقومه نار جهنم التي هي أشد من عذاب الدنيا . وقد ذكر القرطبي في تفسيره (١٥ / ٣١٨) : " واحتج بعض أهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) ما دامت الدنيا ، كذلك قال مجاهد ، وعكرمة ، ومقاتل ، ومحمد بن كعب قال : هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا . أهـ .

يقول الفخر الرازي : " ثبت أن هذا العرض إنما حصل بعد الموت ، وقبل يوم القيامة ، وذلك يدل على إثبات عذاب القبر في حق هؤلاء ، وإذا ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم " (١) أهـ .

وقد تقدم الكلام على ضغطة القبر وذكرنا بعض الأحاديث الواردة فيها .

وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من عذاب القبر ومن فتنه ، فكان عليه الصلاة والسلام يقف عند القبر قليلاً بعد الدفن ثم يدعو للميت بالتثبيت ويقول :
" استغفروا لأخيكم ، واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل " (٢) .

(١) التفسير الكبير (٢٧ / ٧٤) بتصرف .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (١٨٧ / ٢) و (١٣٢٧ / ٥) و (١٤٤ / ٥) / (٣٨٨١) .

وقال : " هذه الأمة تفتن في قبورها " .

وروى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ وقف على قبر رجل من أصحابه حين فرغ منه فقال : " إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم نزل بك ، وأنت خير منزل به ، جاف الأرض عن جنبيه ، وافتح أبواب السماء لروحه ، وأقبله منك بقبول حسن ، وثبت عند السؤال منطقته " وهو حديث غريب من حديث عطاء .

قال تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ (١) .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ﴾ (٢) هو عذاب القبر ، لأنه تعالى ذكره عقب قوله تعالى : ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ (٣) .
قال ابن عباس : هو عذاب القبر (٤) كذا قاله ابن مسعود .

إن الحياة البرزخية وهي ما بين الموت إلى يوم القيامة ،

(١) طه (٢٠ / ١٢٤) قال أبو سعيد الخدري ، وعبد الله ابن مسعود :
ضنكا : هو عذاب القبر .

(٢) الطور (٥٢ / ٤٧) .

(٣) الطور (٥٢ / ٤٥) . قال أبو هريرة : يضيق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، وهو المعيشة الضنك .

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ١٥٣) .

كلها غيب عنا ، ولا نستطيع القطع بما يجري فيها إلا بما وصل إلينا من نصوص وأخبار ، وذلك لأن القول أو الكلام على ما يجري فيها يكتنفه كثيرٌ من الإيهام والغموض .

أما عن فترة العذاب ، أو التنعيم في القبر ، فإنها متغيرة ، غير ثابتة من ميت إلى آخر ، حسب عمله ، وقبوله ، وورعه وتقواه ، وما إذا كان مات على التوحيد أم لا .

إن عذاب القبر يختلف باختلاف أحوال العصاة فيه ، بحسب اختلاف معاصيهم .

ثبت عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أكثر عذاب القبر من البول " (١) .

وثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : مرَّ النبي ﷺ على قبرين ، فقال :

" إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتره من البول ، فدعا بعسيب رطب فشقه بإثنين ، ثم غرس على هذا واحداً ، وعلى هذا واحداً ، ثم قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا " (٢) .

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣٨) .

(٢) البخاري (٢٠٦/٢) و (١٣٧٨) و (٦٠٥٢/٣٠/٨) و (٦٠٥٥) ومسلم (٢٤/١) وأبو داود (٢٠/٢٥/١) وقد ذكر هذا الحديث الإمام القرطبي في التذكرة (١/١٩٣) . وفي سنن أبي داود (وكان لا يستتر من بوله) وفي رواية البخاري (وما يعذبان في كبير وإنه لكبير) .

ومثلما يكون التعذيب في القبر فإنّ التنعيم أيضاً يكون فيه
لعباد الله الصالحين ، الخاشعين المختبين ، الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه .

ومثلما قال ﷺ : " عذاب القبر حق " فإنّ نعيمه أيضاً
حق للأحاديث والدلائل الواردة عنه ﷺ في ذلك .

وقد ذكر النسائي^(١) عن عائشة قالت : " دخل عليّ
رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود ، وهي تقول : إنكم
تفتنون في القبور ، فارتاع رسول الله ﷺ وقال : " إنما يُفتن يهود
" قالت عائشة : فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله ﷺ : " هل
شعرت بأنه أوحى إليّ أنكم تفتنون في القبور ؟ قالت عائشة :
فسمعت رسول الله ﷺ يستعيز من عذاب القبور " .
وقال ﷺ : " إنه قد أوحى إليّ أنكم تفتنون في القبور
قريباً " (٢) .

(١) في السنن (٤/ ١٠٥) و (٨/ ٢٧٥) وهو في رواية أخرى عند النسائي
بنحوه (٣/ ١٣٥) .

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه وأخرج البخاري في الصحيح
(٢/ ٤٣/ ٩٢٢) عن أبي هريرة - رضي الله عنه : - " كان رسول الله ﷺ يدعو :
اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا ،
ومن فتنة الممات ، ومن فتنة المسيح الدجال " .

عذاب القبر تسمعه البهائم

" . . . أخرج بعض الأئمة أحاديث تقول إنه من الممكن

سماع عذاب القبر ، فهل هذه الأحاديث صحيحة أم معلولة .

أم غير ذلك ؟ وما الدليل على ذلك ؟ . . " .

أخرج الإمام مسلم في الصحيح عن زيد بن ثابت من

حديث طويل قوله ﷺ : " إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ،

فلولا أن لا تدافنوا ، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر

الذي أسمع " (١) .

(١) مسلم (٤/ ٢٢٠٠ / ٢٨٦٧) وصححه السيوطي في الصغير (٢/ ١٣٢)

كتم سبحانه وتعالى عنا عذاب القبر لئلا نخاف القرب من القبر للدفن ، حتى

لا يهلك الأحياء عند سماعه ، حيث إن العذاب في القبر شديد عنيف ،

والمقبور ضعيف ، نسألك اللهم اللطف والسلامة .

كما قال عليه الصلاة والسلام : " يهود تُعَذَّبُ في قبورها
عذاباً تسمعه البهائم " (١) .

وحري ، وقمين بمثل هذا العذاب المروع الرهيب ألا يغيب
عن الذهن ، أو يعزب عن البال ، من ثم كان ﷺ ينبه أمته إلى
هذا أو يلفت نظرهم إليه عندما قال اكثروا ذكر : " هازم
اللذات " (٢) وهو حديث صحيح .

(١) مسلم (٤/ ٢٢٠٠/ ٢٨٦٧) والإمام أحمد في المسند (٥/ ٣٤٥) وفيه أيضاً
بلفظ (قبورهم) في (٥/ ٤١٧) .

(٢) المقاصد الحسنة للسخاوي (٧٤) والكشف (١/ ١٦٥) وصحيح الجامع
(١/ ٣٨٧/ ١٢٢٢) وحسنه السيوطي كذلك .

سماع الموتى الأحياء

" . . . قيل إن الموتى يسمعون في قبورهم ، ويردون السلام على من يسلم عليهم ، وحديث قليب بدر شاهدٌ على ذلك فكيف التوفيق بين هذا ، وبين نص القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ الروم ٥٢ وقوله ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ فِي الْقُبُورِ . . . ﴾ .

هذه قضية حيوية أثارت جدلاً طويلاً ، وحيرة شديدة ، إذ إن الأحاديث الواردة في سماع الموتى في قبورهم أحاديث صحيحة متواترة لا يمكن إنكارها ، ثم إن آيات القرآن الكريم تنص على نفي السماع للموتى . .

فإذا ما تعارضت النصوص في الظاهر وكان كلا النصين صحيحاً فإنه لا بد من البحث عن طرق للتأويل ، إذ لا مندوحة عن ذلك حتى يتم التوافق بين الاصلين ، فإن القرآن الكريم هو الأصل الأول ، والسنة النبوية الصحيحة ، هي

الأصل الثاني ، ومتى كان الأصلان صحيحين ، فإنه يستحيل التعارض ، من ثم كان لا بد من البحث والإستقراء والتنقيب عن أدلة التوافق ، وقد نلجأ إلى الصرف عن الظاهر ، لما يقبل ذلك من أي من النصين .

إن الذين أقروا بالسماع حسب الأحاديث الصحيحة ، سلكوا سبيل التأويل لآيات القرآن الكريم النافية للسمع ، وقالوا : إنه نهي عن سماع الإنتفاع ، أما الذين أقروا بعدم السماع حسب ظاهر الآيات فقد اضطروا إلى تأويل الأحاديث .

وهذا مختصر جامع لهذه الأقوال ورأينا في النهاية ، ولعله يكون صواباً ، والله المستعان : يقول الإمام الألوسي في تفسيره^(١) : قال تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ، وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدَّعَاءَ إِذَا وُلُّوا مَدْبِرِينَ ﴾^(٢) يقول الألوسي في تفسير هذه الآية : " هذا تعليل لما يفهم من الكلام السابق كأنه قيل : لا تحزن لعدم اهتمامهم بتذكيرك ، فإنك . . الخ بيد أنا نذكر هنا ما ذكره العلماء في سماع الموتى^(٣) فنقول : نقل العلامة ابن الهمام أنه قال أكثر مشايخنا على أن الميت لا يسمع ، استدلالاً بقوله تعالى : " إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ مِنْ فِي الْقُبُورِ " ^(٤) ونحوها يعني

(١) روح المعاني (٢١/ ٥٤) وما بعدها .

(٢) الروم (٣٠/ ٥٢) .

(٣) النحل (٢٧/ ٨٠) راجع مختصر ابن كثير (٢/ ٦٨٢) .

(٤) فاطر (٣٥/ ٢٢) راجع تفسير ابن الجوزي (٦/ ٤٨٤) وجامع البيان

للطبري (٢٢/ ٨٤) والبحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣١٠) .

من قوله تعالى : ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ ولذا لم يقولوا بالتلقين على القبر . وقالوا : لو حلف لا يكلم فلاناً ، فكلمه ميتاً لا يحنث .

وحكى السفارين في البحور الزاخرة أن عائشة ذهبت إلى نفي سماع الموتى ووافقها طائفة من العلماء على ذلك ، ورجحه القاضي أبو يعلى من أكابر الحنابلة في كتابه الجامع الكبير ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ وذهبت طائفة بل طوائف من أهل العلم إلى سماعهم في الجملة ، وقال ابن عبد البر : إن الأكثرين على ذلك وهو اختيار ابن جرير الطبري ، وكذا ذكر ابن قتيبة وغيره ، واحتجوا بما في الصحيحين عن أنس عن أبي طلحة - رضي الله عنهما قالا : لما كان يوم بدر وظهر عليهم يعني مشركي قريش رسول الله ﷺ أمر ببضعة وعشرين رجلاً ، وفي رواية " أربعة وعشرين رجلاً " من صناديد قريش فألقوا في طوي من اطواء بدر ، وأن رسول الله ﷺ ناداهم : يا أبا جهل بن هشام ، يا أمية بن خلف ، يا عتبة ابن ربيعة ، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً .

فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال : والذي نفس محمد بيده ، ما أنتم

بأسمع لما أقول منهم ، وزاد في رواية لمسلم عن أنس :
" ولكنهم لا يقدرّون أن يجيبوا " (١) .

وبما أخرجه أبو الشيخ من مرسل عبيد بن مزروق قال :
كانت امرأة بالمدينة تقم المسجد ، فماتت ، فلم يعلم بها
النبي ﷺ ، فخر على قبرها فقال ﷺ : ما هذا القبر ؟
فقالوا : أم محجن . قال : كانت تقمّ المسجد ، قالوا
نعم ، فصف الناس ، فصلى عليها ، فقال ﷺ : اي العمل
وجدت أفضل ؟

قالوا : يا رسول الله ، أسمع قال : ما أنتم بأسمع منها .
فذكر عليه السلام أنها أجابته .

واحتجوا بما رواه البيهقي ، والحاكم ، وصححه ، وغيرهما
عن أبي هريرة أن النبي ﷺ وقف على مصعب بن عمير ، وعلى
أصحابه حيث رجع من أحد فقال :
" أشهد أنكم أحياء عند الله تعالى ، فوزوهم وسلموا
عليهم ، فوالذي نفسي بيده ، لا يسلم عليهم أحدٌ إلا ردوا عليه
إلى يوم القيامة " (٢) .

(١) في مجموع الفتاوى (٢٤ / ٣٦٣ ، ٣٦٤) يؤكد ابن تيمية بأن الأرواح تكون
في أفنية القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارقه ، وبه يقول مجاهد ، وقال
مالك بن أنس : بلغني أن الأرواح مرسلّة تذهب حيث شاءت . والله أعلم .
أهـ . بتصرف يسير .

(٢) والذي يرد السلام ، لا ينكر أنه يسمع السلام عليه .

كما ورد في الحديث الصحيح : عن ابن عباس مرفوعاً ،
" ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا يسلم
عليه ، إلا عرفه ورد عليه " (١) .

وقد ورد في الصحيحين من قوله ﷺ . إن العبد إذا وضع
في قبره ، وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم " (٢) .
وأجابوا عن الآية فقال الهيلي : " إنها كقوله تعالى :
﴿ أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ﴾ أي إن الله هو الذي
يعمي ويهدي .

قال بعض العلماء : إن معناها : لا تسمعهم إلا أن يشاء
الله تعالى .

أو لا تسمعهم سمعاً ينفعهم .

وقد ينفي الشيء ، لإنتفاء فائدته وثمرته .

وهنا يجوز أن يُعتبر في قوله تعالى : ﴿ ولا تسمع الصم ﴾
ويكون العدول عن : " فإنك لا تسمع الموتى " ولا " الصم "
إلى ما في النظم الجليل العناية بنفي الإسماع ، ويجوز أن لا يعتبر
فيه ، ويبقى الكلام على ظاهره وتكون نكتة العدول إلى الإشارة إلى
أن لا تسمع في كل من الجملتين بمعنى .

وقال الذاهبون إلى عدم سماع الموتى : الأصل عدم

(١) في سنن أبي داود : - ما من أحد يسلم عليّ إلا ردَّ الله عليّ روحي حتى أورد
عليه السلام (٢/ ٥٣٤ / ٢٠٤١) .

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٠٠ ، ٢٢٠١ / ٢٨٧٠) والبخاري (٢/ ٢٠٥ /
١٣٧٤) وصححه السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٨٣) وصححه .

التأويل ، والتمسك بالظاهر إلى أن يتحقق ما يقتضيه خلافه ، وأجابوا عن كثير مما استدل به الآخرون ، فقال بعضهم إن ما وقع في حديث أبي طلحة - رضي الله تعالى عنه - يجوز أن يكون معجزة له ﷺ وهو مراد من قال : إنه من خصوصياته عليه الصلاة والسلام .

ومن خوارق العادة ، والكلام من موافقها ، وهو الذي نفى فيها آية : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ . ونحوها وفي قوله ﷺ : " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم الآن دون ﴿ ما أنتم بأسمع لما يقال ﴾ ونحوه منهم تأييد ما لذلك ، وحديث أبي الشيخ مرسل ، وحكم الإستدلال به معروف ، وعلى أن احتمال الخصوصية قائم فيه أيضاً .

وفي صحيح البخاري ^(١) قال قتادة : أحياهم الله تعالى ، بمعنى أهل الطوي (القليب) حتى أسمعهم قوله ﷺ ، توبيخاً ، وتصغيراً ونقمة وحسرة ، وندماً .

ويؤيد ما أخرج البخاري ^(٢) ومسلم والنسائي ، وابن أبي هاشم ، وابن مردويه ، عن ابن عمر قال : " وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ ثم قال عليه الصلاة والسلام : " إنهم الآن يسمعون ما أقول " حيث

(١) البخاري (٥/ ١٨٧ / ٣٩٨٠) و (٣٩٨١) .

(٢) البخاري (٥/ ١٨٧ / ٣٩٨٠) ومسلم (٤/ ٢٢٠٣ / ٢٨٧٤) والنسائي

(٤/ ١١٠) .

قَيَّدَ ﷺ سماعهم (بالآن) وإذا قلنا إن الميت يسأل سبعة أيام في قبره ، مؤمناً كان أو منافقاً أو كافراً ، وأنه حين السؤال تعاد إليه روحه ، كان لك أن تقول : يجوز أن يكون خطاب أهل القليب ، حين إعادة أرواحهم إلى أبدانهم للسؤال ، فإنه كما في حديث أخرجه أحمد والبخاري مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي كان في اليوم الثالث من قتلهم ، واحتمل أن يكون خطابه ﷺ لأم محجن ، وقت السؤال بأن يكون ذلك قبل مضي سبعة أيام عليها .

وعليه لا يكون سماعهم من المتنازع فيه ، لأنهم حين سمعوا كانوا أحياء لا موتى .

ويرد على هذا أن عمر قال له عليه الصلاة والسلام : ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ ولم ينكر ما قاله له ﷺ ، وإنما قال ﷺ له : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم .

ولو كان الأمر كما قال قتادة ، لكان الظاهر أن يقول ﷺ له : ليس الأمر كما تقول إن الله عز وجل أحياهم لي أو نحو ذلك ، وعائشة أنكرت ما وقع في الحديث مما استدل به على المقصود .

وفي صحيح البخاري عن هشام عن أبيه قال : ذكر عن عائشة أن ابن عمر ، رفع إلى رسول الله ﷺ (أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه) فقالت : وَهَمَ ابن عمر إنما قال ﷺ : " إنما يعذب بخطيئته وذنبه ، وإن أهله ليكون عليه الآن ، قالت :

وذلك مثل قوله :

إن رسول الله ﷺ قام على القلب وفيه قتلى بدر من المشركين ، فقال لهم ما قاله ، وإنهم ليسمعون ما أقول إن ما قال : إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق .

ثم قرأت : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ .

﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ .

وتعقب ذلك السهيلي ، فقال : عائشة لم تحضر قول النبي ﷺ ، فغيرها ممن حضر أحفظ للفظه عليه الصلاة والسلام ، وقد قالوا له :

يا رسول الله ، أتخاطب قوماً قد جيفوا فقال : " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم " فقال : فإذا جاز أن يكونوا في تلك الحالة عالمين ، جاز أن يكونوا سامعين له .

وهذا كلام قوي ، ولا يقدح عدم حضورها في روايتها ، لأنه مرسل صحابي ، وهو محمول على أنه سمع ذلك ممن حضره أو من النبي ﷺ ، ولو كان ذلك قدحاً في روايتها لقدح في رواية ابن عمر السابقة ، فإنه لم يحضر أيضاً ، ولا مانع من أن يكون النبي ﷺ ، قال اللفظين جميعاً ، فإنه كما علم من كلام السهيلي ، والحاكم ، وصححه ، وغيرهما : إنا لا نسلم صحته . وتصحيح الحاكم محكوم عليه بعدم الاعتبار ، وإن سلمنا بصحته نلتزم القول بأن الموتى الذين لا يسمعون هم من عدا الشهداء .

أما الشهداء فيسمعون في الجملة لامتيازهم على سائر الموتى ، لما أخبر عنهم من أنهم أحياء عند الله عز وجل .
وقيل في حديث ابن عبد البر ، إن عبد الحق ، وإن قال :
إسناده صحيح إلا أن الحافظ ابن رجب الحنبلي تعقبه وقال :
إنه ضعيف ، بل منكر .

وفي حديث ابن أبي الدنيا : إنه على تسليم صحته ، لا
يثبت المطلوب ، لأن خطاب الملك عليه السلام للروح التي
بيده ، وهو ليس بميت .

وفي الصحيحين من سماع العبد قرع نعال أصحابه إذا
دفنوه ، وانصرفوا عنه إنه اذ ذاك تعود إليه روحه للسؤال ،
فيسمع وهو حي ، والجمهور على عود الروح إلى الجسد أو
بعضه وقت السؤال ، على وجه لا يحس به أهل الدنيا ، إلا من
شاء الله تعالى منهم ، ووراء ذلك مذاهب .

فإن مذهب ابن جرير الطبري ، وجماعة من الكرامية أن
السؤال في القبر على البدن فقط ، وأن الله تعالى يخلق فيه
إدراكاً ، بحيث يسمع ويعلم ، ويلذ ويألم ، وعلى هذا المذهب
يمكن أن يقال ما قيل على الأول .

ومذهب ابن حزم ، وابن ميسرة أنه على الروح فقط ،
ومذهب أبي الهذيل وأتباعه أن الميت لا يشعر بشيء أصلاً إلا
بين النفختين .

والحق أن الموتى يسمعون في الجملة ، وهذا على أحد وجهين :

أولهما : أن يخلق الله عز وجل في بعض أجزاء الميت قوة يسمع بها متى شاء الله تعالى السماع ، ونحو ما شاء الله تعالى سماعه إياه ، ولا يمنع من ذلك كونه تحت أطباق الثرى ، وقد انحلت منه تلك البنية ، وانفصمت العرى ، ولا يكاد يتوقف في قبول ذلك من يجوز أن يرى أعمى العين .

وثانيهما : أن يكون ذلك السماع للروح بلا وساطة قوة في البدن ، ولا يمتنع أن تسمع بل أن تحس وتدرك مطلقاً بعد مفارقتها البدن بدون وساطة قوى فيه .

وحيث كان للروح على الصحيح تعلق ، لا يعلم حقيقته وكيفيته إلا الله عز وجل بالبدن كله أو بعضه بعد الموت ، وهو غير التعلق بالبدن الذي كان لها قبل الموت أجرى الله سبحانه وتعالى عادته بتمكنها من السمع ، وعند الغسل مثلاً ، ولا يلزم من وجود ذلك التعلق .

أما القول بوجود قوة السمع ونحوه فيها ، نفسها أن تسمع كل مسموع لما كان السماع مطلقاً ، وكذا سائر الإحساسات ليس إلا تابعاً للمشئة ، فما شاء الله تعالى كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فيعتقد على القول بسماع ما ورد السماح بسماعه من السلام ونحوه ، وهذا الوجه هو الذي يترجح ، ولا يلزم عليه التزام القول بأن أرواح الموتى مطلقاً في أفنية القبور ، لما كان مدار

السمع عليها مشيئة الله تعالى ، والتعلق الذي لا يعلم كيفيته وحقيقته إلا هو عز وجل .

فلتكن الروح حيث شاءت أو لا تكن في مكان كما هو رأي من يقول بتجردها ، ويؤخذ من كلام ذكره العارف ابن برجان في شرح أسماء الله تعالى الحسنی تحقيق على وجه آخر ، وهو أن للشخص نفسه مبرأة من باطن ما خلق منه الجسم ، وهي روح الجسم ، وروحا أوجدها الله تبارك وتعالى من باطن ما برأ منه النفس ، وهي للنفس بمنزلة النفس للجسم .

فالنفس حجابها ، وبعض المفارقة في العبد المؤمن تجعل الحقيقة الروحانية عامرة العلو من السماء الدنيا إلى السماء السابعة ، بل إلى حيث شاء الله تعالى من العلو ، في سرور ونعيم ، وتحيل الحقيقة النفسانية عامرة السفلى من قبره إلى حيث شاء الله تعالى من الجو .

ولذا لقي رسول الله ﷺ موسى قائماً يصلي في قبره ، وإبراهيم عليه السلام تحت الشجرة قبل صعوده عليه الصلاة والسلام إلى السماء ، ولقيهما عليهما السلام بعد الصعود في السموات العلا ، فتلك أرواحهما وهذه نفوسهما ، وأجسادهما في قبورهما ، وكذا يقال في الكافر بيد أن الحقيقة الروحانية له لا تكون عامرة العلو ، فلا تفتح لهم أبواب السماء ، بل تكون عامرة في دار شقائها ، وبين الحقيقتين اتصال ، وبوساطة ذلك ومشيتته عز وجل يسمع من سلم عليه في قبره ، ولا يختص

السماع في السلام عند الزيارات ليلة الجمعة ويومها ، وبكرة السبت أو الجمعة ، ويوماً قبلها ويوماً بعدها ، بل يكون ذلك عند الزيارة مطلقاً .

إن الميت يسمع الله تعالى روحه السلام عليه من زائره في أي وقت كان ، وكان يقدره سبحانه وتعالى على رد السلام كما صرح به في بعض الآثار .

وما أخرج به العقيلي من أنهم يسمعون السلام ، ولا يستطيعون رده ، محمول على نفي استطاعة الرد على الوجه المعهود الذي يسمعه الأحياء .

وقيل إن رد السلام وعدمه مما يختلف باختلاف الأشخاص ، فرب شخص يقدره الله تعالى على الرد ولا يثاب عليه ، لإنقطاع العمل ، وشخص آخر لا يقدره الله عز وجل ، ويتفاوت التعلق في رأي الألوسي قوة وضعفاً بحسب الأشخاص بل وبحسب الأزمان أيضاً ، وبذلك نجمع بين الأخبار والآثار المختلفة .

يقول الإمام القرطبي ^(١) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وما

(١) تفسير القرطبي (١٣ / ٢٢٥) .

يشعرون أيا ن يُبعثون بل اذّارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ﴿١﴾ .

يقول القرطبي القراءة الأولى والأخيرة معناهما واحد ، لأن الأصل في اذّارك : تدارك ، أدغمت الدال في التاء ، وجيء بألف الوصل ، وفي معناه قولان : أحدهما أن المعنى بل تكامل علمهم في الآخرة ، لأنهم رأوا كل ما وعدوا به معاينة فتكامل علمهم به .

والقول الآخر أن المعنى : " بل تتابع علمهم اليوم في الآخرة ، فقالوا : تكون أو لا تكون " أهـ بتصرف .

لكن الزمخشري ^(٢) يقول :

لما جاء ببل بعد قوله : " وما يشعرون " كان معناه : بل يشعرون ، ثم فسّر الشعور بقوله اذّارك علمهم في الآخرة ، على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم ، فكأنه قال : شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها ، فيرجع إلى نفي الشعور على أبلغ ما يكون " أهـ بتصرف

ثم يقول الزمخشري ^(٣) في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا

(١) النمل (٢٧/ ٦٥ ، ٦٦) أنظر البحر المحيط (٧/ ٩٢ ، ٩٣) .

(٢) الكشف (٣/ ١٥٧) والقرطبي (١٣/ ٢٢٦) .

(٣) الكشف (٣/ ١٥٩) .

تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين ﴿ (١) ﴾ إن
المشركين شُبّهوا بالموتى وهم أحياء الحواس ، لأنهم إذا سمعوا ما
يتلى عليهم من آيات الله ، فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم ،
وكان سماعهم كلا سماع ، وكانت حالهم لإنتفاء جدوى السماع
كحال الموتى الذين فقدوا صحيح السماع .
كذلك تشبيههم بالصم الذين يُنْعَقُ بهم فلا يسمعون ،
وشُبّهوا بالعمى حيث يضلون الطريق ، ولا يقدر أحدٌ أن ينزع
ذلك عنهم (٢) ، وأن يجعلهم هداة ، بصراء — إلا الله عز وجل
أهد بتصرف .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ (٣)
بزيادة الفاء من الآية السابقة ، يقول الصابوني أي فإنك يا
محمد ، لا تسمع الأموات ، ولا تسمع من كان في أذنيه صمم ،
تلك المواقظ المؤثرة ، ولو أن أصماً ولى عنك مدبراً ، ثم ناديته ،
لم يسمع ، فكذلك الكافر ، لا يسمع ، ولا ينطق بما يسمع .
قال المفسرون : هذا مثل ضربه الله تعالى للكافرين شبههم
الله بالموتى وبالصم العمى (٤) .

(١) النحل (٢٧ / ٨٠) .

(٢) أي يمحوه ويزيله .

(٣) الروم (٣٠ / ٥٢) .

(٤) صفوة التفاسير (٢١ / ١٠٧٩) .

ويحتج القائلون بعدم سماع الموتى بنص القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) .

كذلك يقولون ويستدلون بقوله تعالى : ﴿ فَأَمَاتَ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾ (٢) .

مما سبق ومما سلف نقول مجملاً ما نعتقده الصواب إن شاء الله تعالى : إن الموتى يسمعون من أي وفي أي لحظة يراد منهم ذلك بإذن الله تعالى وبإرادته ، وعندما لا يريد منهم السماع فإنهم لا يسمعون ، فإذا أراد الله شيئاً لا يمنعه شيء .
سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

(١) المائدة (٥/ ١١٧) .

(٢) البقرة (٢/ ٢٥٩) . أنظر تفسير الطبري (٥/ ٤٣٩) . وما بعدها ، والقرطبي (٣/ ٢٩٣) والبحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٢٨٥) .

القول الثابت

.. ما معنى قوله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ (١)؟؟

ورد في سنن أبي داود ، عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : " إن المسلم إذا سئل في القبر فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ (٢) الآية .

وروى مسلم (٣) عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي

(١) إبراهيم (١٤ / ٢٧) .

(٢) سنن أبي داود (٥ / ١١٢ / ٤٧٥٠) .

وروى هذا الخبر أيضاً أبو هريرة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو سعيد الخدري .

(٣) مسلم (٤ / ٢٢٠١ / ٢٨٧١) .

الآخرة ﴿ قال : نزلت في عذاب القبر ، يقال له من ربك
فيقول : الله ربي ونبي محمد ، فذلك قوله : ﴿ يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ (١) .

أخرج البخاري (٢) في صحيحه ، والنسائي في السنن (٣)
وابن ماجة في سننه من حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ
قال : " إذا أُقْعِدَ العبد المؤمن في قبره ، أنى ثم يشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله : ﴿ يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ (١) .

وثبت عنه ﷺ قوله :

" إن هذه الأمة تبتلى في قبورها (٤) .

ومتى كان ابتلاء الأمة في قبورها ، فإن الثبات على كلمة
التوحيد هو خير عاصم ، ومنقذ من الهلاك الأبدي المحقق .
أما عن منكري الفتنة في القبر ، بل ومنكري عذاب القبر
ونعيمه — فإنهم يخرجون بهذا الإنكار عن إجماع الأمة ، وهذا لا
يذهب إليه إلا مفتون مستدرج مغلول الحجة ، مردود الدليل .

(١) إبراهيم (١٤ / ٢٧) .

(٢) البخاري (٢ / ٢٠٤ / ١٣٦٩) .

(٣) النسائي (٤ / ١٠١) .

(٤) مسلم (٤ / ٢٢٠٠ / ٢٨٦٧) .

ما ينجي من فتنة القبر وعذابه

" . . . ما الأعمال والأقوال المنجيات من فتنة القبر ،
وعذابه ؟؟ وهل يعفى أحدٌ من فتنة القبر ؟؟ " .
ذكر علماءنا خمسة أشياء منجيات من فتنة القبر وعذابه .
الأول : روى الإمام مسلم عن سلمان قال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر
وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجرى
عليه رزقه ، وأمن من الفتان (١) .

وقد صححه السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٢٢) .
لذلك فإن الرباط من أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد
الموت كما جاء في حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي
هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : " إذا مات ابن آدم

(١) مسلم (٣/ ١٥٢٠ / ١٩١٣) وأحمد في المسند (٥/ ٤٤١) بلفظ أفضل .

انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية أو علم ينتفع به ،
أو ولد صالح يدعو له (١) . وهذا الحديث صحيح ، انفرد
مسلم بإخراجه ، كذا ما أخرجه ابن ماجه (٢) وأبو نعيم من أنه
يلحق الميت بعد موته ، فإن ذلك مما ينقطع بنفاده وذهابه ،
كالصدقة بنفادها ، والعلم بذهابه ، والولد الصالح بموته ،
والنخل بقطعه إلى غير ذلك مما ذكر .

والرباط يضاعف الأجر لصاحبه إلى يوم القيامة ، لقوله
عليه الصلاة والسلام ، وإن مات أجرى عليه عمله ، وقد جاء
مفسراً مفصلاً في قوله ﷺ : " كل ميت يختم على عمله إلا
الذي مات مرابطاً في سبيل الله ، فإنه ينمو له إلى يوم القيامة ،
ويؤمن من فتنة القبر " (٣) .

والنماء في الحديث غير موقوف على سبب ، ولا منوط
بمتعلقات أخرى حتى تنقطع بانقطاعه بل إن النماء زيادة
مطرودة من فضل الله تعالى ، لأن أعمال البر لا يتمكن منها
بالسلامة من العدو ، والأمان من غائلته .

في الرباط حماية بيضة الدين ، وصيانة كيانه من أعداء

(١) مسلم (٧٣/ ٥) وأبو داود (٣٠٠/ ٣ / ٢٨٨٠) بنحوه .

(٢) ابن ماجه في السنن والنسائي (٢٥١ / ٦) .

(٣) الترمذي (١٦٢١) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وأبو

داود بنحوه (٢٥٠٠ / ٣ / ٢٠) وقال : « ويؤمن من فتاني القبر » .

الدين ، وصون شعائر الإسلام ، ولذلك فإن ما يعمله المرابط من أعظم القربات وأجل الطاعات (١).

الثاني : روى النسائي عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال " كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة " (٢).

وخرج ابن ماجه (٣) في السنن ، والترمذي (٤) في جامعه وغيرهما ، عن المقدم بن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ : للشهيد عند الله ست خصال ، يغفر له في أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه .

وهذا لفظ الإمام الترمذي ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب . وقال ابن ماجه : " يغفر له في

(١) أخرج ابن ماجه (٢٧٦٧) عنه صلى الله عليه وسلم : - « من مات مرابطا في سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليه وأمن من الفتان ويبعثه الله آميناً من الفزع الأكبر .

(٢) النسائي (٩٩ / ٤) .

(٣) ابن ماجه (٣٧٩٩) .

(٤) الترمذي (١٦٦٣) .

أول دفعة من دمه " قال : ويحلى حلة الإيمان بدل ويوضع على رأسه تاج الوقار .

قال ابن ماجة : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا اسماعيل ابن عياش ، قال : حدثنا بجير بن سعد ، وقال الترمذي : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا نعيم بن حماد ، قال : حدثنا بقية بن الوليد عن بجير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن المقدام بن معد يكرب (١) .

الثالث : روى الترمذي عن ابن عباس قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ (سورة الملك) حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ فقال : " يا رسول الله : ضربت خبائي على قبر ، وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا بقبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فقال ﷺ : هي المانعة ، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر (٢) .

وخرج أيضاً عنه ﷺ أن من قرأها كل ليلة جاءت تجادل عن صاحبها ، وروى أنها المجادلة تجادل عن صاحبها ، يعني قارئها في القبر .

وروى أن من قرأها كل ليلة ، لم يضره الفتان .
عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه ، عن عكرمه عن ابن

(١) التذكرة للقرطبي (١/ ٢١٠) بتصرف .

(٢) الترمذي (٢٨٩٠) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

عباس رضي الله عنه أنه قال الرجل :

ألا أتخفك بحديث تفرح به ؟ قال الرجل : بلى يا بن عباس ، رحمك الله ، قال : اقرأ (تبارك الذي بيده الملك) احفظها وعلمها اهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك ، وجيرانك فإنها منجية ولدك ، وصبيان بيتك ، وجيرانك ، فإنها منجية . والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب النار إذا كانت في جوفه ، وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر .

قال سيدنا رسول الله ﷺ : " لوددت لو أنها في قلب كل إنسان من أمتي " (١) .

وورد أن قراءة قل هو الله أحد في مرض الموت تنجي من فتنة القبر وعذابه .

وكيف لا وهي ثأث القرآن .

الرابع : ورد في سنن ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " من مات مريضاً مات شهيداً ، ووقي فتنة القبر ، وغدا وريح عليه برزقه من الجنة (٢) .

كما خرّج النسائي عن جامع بن شداد قال : " سمعت عبد الله بن يسار " يقول : " كنت جالساً عند سليمان بن صرد ، وخالد بن عرفطة فذكر أن رجلاً مات ببطنه ، فإذا هما

(١) هذا دليل على أهميتها .

(١) ابن ماجه (١٦١٥) وأحمد في المسند (٤ / ٢٦٢) .

يشتهيان أن يشهدا جنازته ، فقال أحدهما للآخر :
ألم يقل رسول الله ﷺ : " من يقتله بطنه لم يُعذب في
قبره " ؟

أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ، قال : حدثنا
شعبة ، قال : أخبرني جامع بن شداد : فذكره (١) .

الخامس : روى الإمام الترمذي في جامعه عن ربيعة ابن
سيف عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : " ما
من مسلم يموت يوم الجمعة ، أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة
القبر " (٢) .

وقد أخرج هذا الحديث السيوطي في الجامع الصغير (٢) /
(١٥٣) ط . العلمية وعزاه لأحمد في المسند والترمذي في جامعه
الصحيح ، عن ابن عمرو ، وحسنه .

(١) فزاد على ذلك : « فقال الآخر بلى » أه .

(٢) الترمذي (١٠٧٤) وقال أبو عيسى : « هذا حديث حسن غريب » أه وليس
إسناده بمتصل بريئة بن سبق ، وإنما يروي عن عبد الرحمن الحلبي ، عن عبد الله
ابن عمرو . كذا أخرجه أحمد في المسند (١٦٩/٢) .

عرض مقعد الميت عليه بالغداة والعشي

" ورد أن مقعد الميت يعرض عليه في قبره بالغداة والعشي ، إلى يوم القيامة ، نرجو توضيح ذلك وشرحه . . . " روى البخاري ومسلم^(١) في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : " إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة " (٢) .

(١) البخاري (٨/ ١٩٣/ ٦٥١٥) ومسلم (٤/ ٢١٩٩/ ٢٨٦٦) وابن ماجه (٤٢٧٠) والترمذي (١٠٧٢) .

(٢) قوله عرض عليه مقعده ، ويروى (عرض على مقعده) قال علماؤنا : وهذا ضرب من العذاب كبير ، وعندنا المثال في الدنيا ، وذلك كمن عرض عليه القتل ، أو غيره من الآت العذاب ، أو من يهدد به من غير أن يرى الآلة ، ونعوذ بالله من عذابه وعقابه ، بكرمه ورحمته .

وقد جاء في القرآن الكريم قوله : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ﴾ (١) .

فأخبر تعالى أن الكافرين يعرضون على النار ، كما أن أهل السعادة يعرضون على الجنان ، بالخبر الصحيح لذلك ، وهل كل مؤمن يعرض على الجنان ؟ قيل : ذلك مخصوص بالمؤمن الكامل الإيمان ، ومن أراد الله له النجاة من النار (٢) .

وأما من أنفذ الله عليه وعيده ، وحقت عليه كلمة العذاب على أولئك الذين خلطوا عملاً صالحاً ، وآخر فاسداً فله مقعدان ، يراها جميعاً ، كما أنه يرى عمله شخصين في وقتين أو في وقت واحد قبيحاً وحسناً .

وقد يحتمل أن يراد بأهل الجنة كل من يدخلها كيفما كان ، والله تعالى أعلم ، ثم قيل هذا العرض إنما هو على الروح وحدها ، ويجوز أن يكون مع جزء من البدن ، والراجح أنه على كلا العنصرين الروح والبدن ، معاً لأن هناك تعلقاً غير مرثي بين الروح والجسد حتى بعد الانفصال بالوفاة ، فإن الجسد كلما تألم في القبر تأثرت به الروح في برزخها من مستقرها غير المعروف .

أما كيف يحدث هذا فنقول إن ذلك من الغيب المطلق المتصل بالحياة البرزخية ، وهذا لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، ولا يجدي نفعاً أي تكهن أو استقراء لأن البحث فيه لا يجدي فتيلاً .

(١) غافر (٤٠ / ٤٦) .

(٢) التذكرة للقرطبي بتحقيق السيد الجميلي (١ / ٢١٥) وما بعدها .

قيل إن الروح ترد إلى البدن كما ترد إليه عند المسألة حين يقعده الملكان - عند العرض عليه مقعده ، ثم يقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، وكيفما كان فإن العذاب محسوس .

والألم موجود ، والأمر شديد .

وضرب كثير من العلماء مثلاً لتعذيب الروح في النائم ، فإن روحه تعذب ، أو تنعم ، والجسد لا يحس بشيء من ذلك .

قال عبد الله بن مسعود : أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين يقال لهم : هذه داركم ، فذلك قوله تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ﴾ (١) .

وعنه أيضاً : أن أرواحهم في جوف طير سود ، تغدو على جهنم ، وتروح كل يوم مرتين ، فذلك عرضها ، وروى شعبه عن يعلى بن عطاء قال : سمعت ميمون بن ميسرة يقول : كان أبو هريرة إذا أصبح ينادي :

(١) غافر (٤٠ / ٤٦) .

راجع التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٧ / ٧٤) وما بعدها ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥ / ٣١٩) .

أصبحنا والحمد لله ، وعرض آل فرعون على النار ، وإذا
أمسى ينادي : أمسينا والحمد لله ، وعرض آل فرعون على النار ،
فلا يسمع أبا هريرة أحد إلا تعوذ بالله من النار .
قيل إن أرواحهم في صخرة سوداء تحت الأرض السابعة
على شفير جهنم ، في حواصل طير سود والغداة والعشي ، إنما
هو بالنسبة إلينا على ما اعتدناه ، لا لهم إذ الآخرة ليست فيها
مساء ولا صباح .
فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيّاً ﴾ (١) . قلنا : الجواب عنهما واحدٌ . . . ﴿ (٢) .
وقد ذكر الإمام القرطبي في تذكرته هذا الموضوع بشيء من
التفصيل فراجعه - إن شئت - .

(١) مريم (١٩ / ٦٢) .

(٢) التذكرة (١ / ٢١٦) بتصرف .

سؤال الملكين في القبر

" . . . كيف يسأل الملكان المقبور ؟؟ وما نتيجة المساءلة للعبد الصالح ؟ وما مصير الفاسق بعدها ؟ وهل تتوقف الحياة البرزخية على سؤال القبر ؟ . . . "

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : " إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه ، ويقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟

فأما المؤمن فيقول : " أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله تعالى به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً " (١) .

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (٢/ ٢٠٥ / ١٣٧٤) .

قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره أربعون ذراعاً .

وقال مسلم : سبعون ذراعاً ، ويملاً عليه خضراً إلى يوم يبعثون ، انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٢٠٠ / ٢٨٧٠) .

ثم يقول بعد ذلك : " وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين " (١) .

روى ابن ماجه (٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ، ولا مشعوف ، ثم يقال له : فيم كنت ؟ فيقول : كنت في الإسلام ! فيقال : ما هذا الرجل ؟ فيقول : محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه ، فيقال له : هل رأيت الله ؟ فيقول : لا ، ما ينبغي لأحد أن يرى الله ، فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال له : انظر إلى ما وراك الله ثم يفرج له فرجة قبل الجنة ، فينظر إلى زهرتها ، وما فيها ، فيقال له : هذا مقعدك .

(١) ورد هذا الحديث بتمامه كاملاً عند البخاري ، بيد أنه عند مسلم غير تام ، وليس في مسلم قول الملكين ، ولا يكتب . والأصح أن يقال : لا دريت ولا تلوت ، لأن الفعل (تلى) واوي من تلو ، لكن الواو أبدلت ياءً وهذا من الإعلال حتى تتناسب مع (دريت) .

وقد جاء من « حديث البراء بن عازب » (لا دريت ولا تلوت) على ما ورد عند الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه .

(٢) ابن ماجه في السنن .

ويقال له : على اليقين كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث
إن شاء الله ، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مرعوباً ، فيقال
له : فيم كنت ؟ فيقول : لا أدري ، فيقال له : ما هذا الرجل ؟
فيقول : سمعت الناس يقولون قولاً فقلته ، فيفرج له فرجة من
قبل الجنة ، فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : انظر إلى ما
صرفه الله عنك ، ثم يفرج له فرجة قبل النار ، فينظر إليها
يحطم بعضها بعضاً ، فيقال : هذا مقعدك على الشك كنت ،
وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى .

أخرج الترمذي ^(١) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :
قال رسول الله ﷺ : إذا أقبر الميت - أوقال أحدكم - أتاه ملكان
أسودان ، أزرقان يقال لأحدهما المنكر ، وللآخر النكير ،
فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول فيه
هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً
عبد الله ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أن تقول هذا ، ثم
يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ، ثم ينور له فيه ، ثم
يقال له : نم ، فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان :
نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه
الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً ، قال : سمعت
الناس يقولون قولاً ، فقلت مثله لا أدري ، فيقولان : قد كنا
نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : التئمي عليه ،

(١) الترمذي (١٠٧١) في الجامع الصحيح .

فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك (١) .

وروى أبو داود (٢) عن أنس : أن رسول الله ﷺ دخل نخلاً لبني النجار فسمع صوتاً ففرع ، فقال : من أصحاب هذه القبور ؟ قالوا : يا رسول الله ، ناس ماتوا في الجاهلية ، فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر ، ومن فتنة الدجال ، قالوا : ومم ذلك يا رسول الله ؟ قال : " إن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول له : ما كنت تعبد ؟ فإن هداه الله ، قال : كنت أعبد الله ، فيقال : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبد الله ورسوله ، فما يسأل عن شيء غيرها ، فينطلق إلى بيت كان له في النار ، فيقال له : هذا بيتك كان في النار ، ولكن الله عصمك ورحمك ، فأبدلك بيتاً في الجنة ، فيقول : دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي ، فيقال له : أسكن ، وإن الكافر إذا وضع في قبره ، أتاه ملك فينتهره ، ويقول له : ما كنت تعبد ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول كما يقول الناس ، فيضرب بمطارق من حديد بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين .

وخرج أيضاً أبو داود (٣) عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فأنتهينا إلى القبر ،

(١) قال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » أ هـ .

(٢) في السنن .

(٣) سنن أبي داود (٣ / ٥٤٦ / ٣٢١٢) والنسائي بنحوه (٤ / ٧٨) .

ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأننا على رؤوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت به في الأرض ، فرفع رأسه فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر ، مرتين أو ثلاثة ، قال : وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولَّوه مدبرين ، حين يقال له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ قال : ويأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان : ما دينك ؟ فيقول ديني الإسلام ، فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ، فيقولان له : وما يدريك ؟ قال قرأت كتاب الله ، فأمنت وصدقت ، فينادي مناد من السماء (أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، قال : ويفسح له مَدْ بصره) . قال : وإن الكافر - فذكر موته - قال : وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاهاه لا أدري ، فيقولان : ما هذا الرسول الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاهاه لا أدري ، قال : فينادي مناد أن كذب عبدي فأفرشوه من النار ، وألبسوه من النار ، وافتحوا له باباً من النار ، قال :

فيأتيه من حرها ، وسمومها قال : ويضيق عليه قبره حتى
تختلف فيه أضلاعه (١).

قال رسول الله ﷺ : قوله تعالى : ﴿ وكل إنسان ألزمناه
طائره في عنقه ﴾ أي عمله فإذا فرغ من ذلك ، دخل عليه فتانا
القبر ، وهما ملكان أسودان يخرقان الأرض بأنيابهما ، لهما شعور
مسدولة ، يجرانها على الأرض ، كلامهما كالرعد القاصف ،
وأعينهما كالبرق الخاطف ، ونفسهما كالريح العاصف ، بيد كل
واحد منهما مقمع من حديد ، لو اجتمع عليه الثقلان ما رفعاه ،
ولو ضرب به أعظم جبل لجعله دكا ، فإذا أبصرتها النفس
ارتعدت ، وولت هاربة ، ويكون كهيئته عند الغرغرة ، ولا يقدر
على حراك غير أنه يسمع وينظر .

قال : فيقعدانه فيبتدآنه بعنف ، ويتهرانه بجفاء ، وقد
صار التراب كالماء ، حيثما تحرك انفسح فيه ، ووجد فرجة ،
فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وما قبلتك ؟
فمن وفقه الله ، وثبته بالقول الثابت قال : ومن وكلكما

(١) زاد في حديث جرير قال : (ثم يقبض له أعمى أبكم معه مرزبة من
حديد ، لو ضرب بها جبل لصارت رابا) .

قال : فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين ، فيصير
ترابا ، ثم تعاد إليه الروح) .

عليّ ، ومن أرسلكما إليّ ؟ وهذا لا يقوله إلا العلماء الأخيار ،
فيقول أحدهما للآخر : صدق ، كف شرنا ، ثم يضربان عليه
القبر ، كالقبة العظيمة ، ويفتحان له باباً إلى الجنة من تلقاء
يمينه ، ثم يفرشان له من حريرها ، وريحانها ويدخل عليه من
نسيمها وريحانها ، ويأتيه عمله في صورة أحب الأشخاص
إليه ، يؤنسه ، ويحدثه ويملاً قبره نوراً .

ولا يزال في فرح وسرور ما بقيت الدنيا ، حتى تقوم
الساعة ، ويسأل متى تقوم الساعة ؟ فليس شيء أحب إليه من
قيامها ، ودونه في المنزلة ، المؤمن العامل الخير ، ليس معه حظ
من العلم ، ولا من أسرار الملكوت ، يلج عليه عمله عقيب
رومان في أحسن صورة طيب الريح ، حسن الثياب ، فيقول
له : أما تعرفني ؟ فيقول : من أنت الذي منّ الله عليّ بك في
غربتي ؟ فيقول : أنا عمك الصالح ، فلا تحزن ، ولا توجل ،
فعما قليل يلج عليك منكر ونكير ، يسألك فلا تدهش ، ثم
يلقنه حجته ، فينما هو كذلك ، إذ دخلا عليه فينتهرانه ،
ويقعدانه مسنداً ، ويقولان : من ربك ؟ فيقول : الله ربي ،
ومحمد نبي ، والقرآن كتابي - والكعبة قبلتي ، وإبراهيم أبي ،
وملته ملتي ، غير مستعجم ، فيقولان له : صدقت ،

ويفعلان به كالأول ، إلا أنها يفتحان له باباً إلى النار ، فينظر إلى حياتها وعقاربها ، وسلاسلها ، وأغلالها ، وحميمها وجميع غمومها وحديدتها ، وزقومها ، فيفزع ، فيقولان له : لا عليك سوء ، هذا موضعك قد أبدلك الله تعالى بموضعك هذا من الجنة ، ثم سعيداً ، ثم يغلقان عنه باب النار ، ولم ندر ما مر عليه من الشهور والأعوام ، والدهور ومن الناس من يحجم في مسأله ، فإن كانت عقيدته مختلفة ، امتنع أن يقول : الله ربي ، وأخذ غيرها من الألفاظ ، فيضربانه ضربة يشتعل منها قبره ناراً ، ثم تطفأ عنه أياماً ، ثم يشتعل عليه أيضاً ، هذا دأبه ما بقيت الدنيا ، ومن الناس من يعتاص عليه ويعسر أن يقول : الإسلام ديني ، لا شك كان يتوهمه ، أو فتنة تقع به عند الموت ، فيضربانه ضربة واحدة ، فيشتعل عليه قبره كالأول ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول : القرآن إمامي ، لأنه كان يتلوه ، ولا يتعظ به ، ولا يعمل بأوامره ، ولا ينتهي بنواهيه ، يطوف عليه دهره ، ولا يعطي منه نفسه خيره ، فيفعل به ما يفعل بالأولين ، ومن الناس من يستحيل عمله جرواً يعذب به في قبره على قدر جرمه .

ثبت في البخاري ومسلم ^(١) ، عن سؤال الملكين ،
وكذلك في الجامع الصحيح للترمذي ^(٢) وصف لهما ، وذكر
اسمهما كذا نص في حديث أبي داود ^(٣) على سؤال ملك واحد ،
وفي حديث آخر على سؤال ملكين .

قال العلماء : يحتمل حديث أبي داود وجهاً آخرأ ، وهو
أن الملكين يأتیان جميعاً ، ويكون السائل أحدهما ، وإن تشاركا
في الإتيان ، فيكون الراوي اقتصر على الملك السائل ، وترك
غيره ، لأنه لم يقل في الحديث إنه لا يأتيه إلى قبره إلا ملك
واحد .

(١) البخاري في صحيحه ومسلم في الصحيح .

(٢) الترمذي (١٠١٢) بنحوه ، في جامعه الصحيح .

(٣) أبوداود (٣/٥٤٦ / ٣٢١٢) .

اختلفت الأحاديث أيضا في كيفية السؤال والجواب ، وذلك حسب اختلاف
أحوالهم ومقاماتهم ودرجاتهم .

أحوال الموتى عند الموت وفي القبور

" . . . ما هو حديث البراء بن عازب الذي بسط وفصل أحوال الموتى جملة وتفصيلاً من لحظة الغرغرة ، وفي القبور وفي الحياة البرزخية على وجه العموم ؟ . . . " .

قال البراء بن عازب (١) : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ، ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ ، فجلسنا حوله كأنها على رؤوسنا الطير ، قال عمرو بن ثابت : وقع ولم يقله أبو عوانة ، فجعل يرفع بصره ، وينظر إلى السماء ويخفض بصره وينظر إلى الأرض ثم قال : " أعوذ بالله من عذاب القبر " .

(١) أخرجه أبو داود (٣٢١٢) وأحمد في المسند (٢٩٣/ ١) والنسائي (٩٦/ ٤) وابن ماجه (١٥٤٨) و (١٥٤٩) . وذهب إلى القول بموجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث من سائر الطوائف وذكره ابن قيم الجوزية في كتاب الروح .

قالها مراراً ثم قال : ﴿ إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة ، وانقطاع من الدنيا ، جاءه ملك فجلس عند رأسه فيقول : أخرجني ، أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من الله ورضوانه ، فتخرج نفسه ، فتسيل كما يسيل قطر السماء .

قال عمرو في حديثه : ولم يقله أبو عوانة : " وإن كنتم ترون غير ذلك وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوطها ، فيجلسون منه مدَّ البصر ، فإذا قبضها الملك لم يدعوها في يده طرفة عين قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ قال : " فتخرج نفسه كأطيب ريح وُجدت ، فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا : ما هذا الروح ؟ فيقال : فلان ، بأحسن أسمائه ، حتى يتهوا به أبواب سماء الدنيا ، فيفتح له ، ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة ، فيقال : اكتبوا كتابه في عليين " وما أدراك ما عليون ، كتاب مرقوم يشهده المقربون " فيكتب كتابه في عليين ، ثم يقال : ردُّوه إلى الأرض ، فلإني وعدهم أني منها خلقتهم ، وفيها نعيدهم ، ومنها نخرجهم تارة أخرى ، قال : فيرد إلى الأرض وتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان شديداً الإنتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : ربي الله ، وديني الإسلام فيقولان : فما تقول في هذا

الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله فيقولان : وما يدريك ؟ فيقول : جاءنا بالبينات من ربنا فأمنت به ، وصدقت قال : وذلك قوله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ .

قال : ينادي منادي السماء : أن قد صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وأرووه منزله منها ، ويفسح له مدّ بصره ، ويمثل عمله له في صورة رجل حسن الوجه طيب الرائحة ، حسن الثياب فيقول : أبشر بما أعد الله لك ، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم ، فيقول : بشرك الله بخير ، من أنت ، فوجهك الوجه الذي جاء بالخير؟؟ فيقول : هذا يومك الذي كنت توعده ، أو الأمر الذي كنت توعده أنا عملك الصالح ، فوالله ، ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله ، بطيئاً عن معصية الله ، فجزاك الله خيراً ، فيقول : يا رب ، أقم الساعة ، كي أرجع إلى أهلي ومالي .

قال : فإن كان فاجراً ، وكان في إقبال من الدنيا ، وانقطاع من الآخرة ، جاءه ملك ، فجلس عند رأسه فقال : اخرجي ايتها النفس الخبيثة أبشري بسخط من الله ، وغضبه ، فتنزل ملائكة سود الوجوه ، معهم مسوح من نار ، فإذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها في يده طرفة عين ، قال : فتفرق في جسده فيستخرجها ، تقطع منها العروق والعصب كالسفود الكثير الشعب في الصوف المبتل فتؤخذ من الملك فتخرج كأنتن

جيفة وجدت ، ، فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون : هذا فلان بأسوأ أسمائهم حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا ، فلا يفتح لهم ، فيقولون : ردوه إلى الأرض ، إني وعدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها نعيدهم ، ومنها نخرجهم تارة أخرى ، قال : فيرمى به من السماء ، قال : وتلا هذه الآية : ﴿ ومن يشرك بالله ، فكأنما خَرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ (١) .

قال : " فيعاد إلى الأرض ، وتعاد فيه روحه ويأتيه ملكان شديدا الإنتهار ، فينتهرانه ويجلسانه فيقولان : من ربك ؟ وما دينك ؟ فيقول : لا أدري ، فيقولان : فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فلا يهتدي لاسمه ، فيقال : محمد ، فيقول : لا أدري ، سمعت الناس يقولون ذلك ، قال : فيقال : لا دريت ، فيضيق عليه قبره ، حتى أضلعه ، ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه ، منتن الريح قبيح الثياب ، فيقول : أبشر بعذاب الله وسخطه فيقول : من انت ؟ فوجهك الذي جاء بالشر ؟ فيقول : أنا عمك الخبيث ، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله ، سريعاً إلى معصية الله .

قال عمرو في حديثه : عن المنهال عن زاذان ، عن البراء

(١) الحج (٢٢/٣١) .

وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن أشرك به في هلاكه وبعده من الهدى . والمكان السحيق : هو المكان البعيد ، ومنه يقال : بعداً وسحقاً .

راجع أيضاً تفسير الطبري (١٧/١١٨) .

عن النبي ﷺ : " فيقيض له أصم أبكم بيده مرزبة لو ضرب به جبل صار تراباً " أو قال : " رمياً فيضربه به ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين ، ثم تعاد فيه الروح فيضرب ضربة أخرى " .

بلفظ أبي داود الطيالسي ، وخرجه علي بن معبد الجهني من عدة طرق بمعناه ، وزاد فيه : " ثم يقيض له أعمى أصم ، معه مرزبة من حديد ، فيضربه فيدق بها من ذؤابته ، إلى خصره ثم يعاد فيضربه ضربة ، فيدق بها من ذؤابته إلى خصره .

وزاد في بعض طرقه عند قوله : " مرزبة من حديد : " لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلبوها ، فيضرب بها ضربة ، فيصير تراباً ، ثم تعاد فيه الروح ويضرب بها ضربة يسمعها من على الأرض غير الثقلين ، ثم يقال : افرشوا له لوحين من نار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيفرش له لوحان من نار ، ويفتح له باب إلى النار .

وزاد فيه عند قوله : وانقطاع من الدنيا : " نزلت به ملائكة غلاظ شداد معهم حنوط من نار ، وسرايل من قطران يحتوشونه (١) .

فتتزع نفسه كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل ، يقطع معه عروقه ، فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك في السماء ، وكل ملك في الأرض .

(١) يحتوشونه : يكتفونه ويأتون عليه ويحدقون به .

وخرَّج أبو عبد الله الحسين بن الحسين بن حرب صاحب ابن المبارك في رقائقه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أنه كان يقول : إذا قتل العبد في سبيل الله ، كانت أول قطرة تقطر من دمه إلى الأرض كفارة للخطايا ، ثم يرسل الله عز وجل بريطة ^(١) من الجنة ، فيقبض فيها روحه ، ثم يعرج مع الملائكة ، كأنه كان معهم ، والملائكة على أرجاء السماء يقولون : قد جاءت روح من الأرض طيبة ، ونسمة طيبة ، فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا ملك إلا صلى عليها ودعا لها ويشيعها حتى يؤتى بها الرحمن ، فيقولون : يا ربنا ، هذا عبدك ، توفيته في سبيلك ، فيسجد قبل الملائكة ، ثم تسجد الملائكة ، بعد ثم يطهر ، ويغفر له ، ثم يؤمر فيذهب به إلى الشهداء فيجدهم في قباب من حرير ، وفي رياض خضر ، عندهم حوت وثور ، يظل الحوت يسبح في أنهار الجنة يأكل من كل رائحة في أنهار الجنة ، فإذا أمسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه ، فيأكلون لحمه ، فيجدون في لحمه طعم كل رائحة ، ويبيت الثور في أفناء الجنة ، فإذا أصبح غدا عليه الحوت ، فوكزه بذنبه فيذكيه ، فيأكلون فيجدون في لحمه طعم كل رائحة من الجنة ، ثم يعودون وينظرون إلى منازلهم من الجنة ، ويدعون الله عز وجل أن تقوم الساعة ، فإذا توفي العبد المؤمن بعث الله عز وجل إليه ملكين ، وأرسل إليه بخرقة من الجنة ، فقال :

(١) الريطة : هي الملاءة البيضاء ذات الفقين .

أخرجني أيتها النفس المطمئنة ، أخرجني إلى روح وريحان ، ورب
عنك غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريح من مسك ما وجدها
أحدٌ بأنفه قط ، والملائكة على أرجاء السماء ، يقولون : قد
جاء من قبل الأرض روح طيبة ، ونسمة طيبة ، فلا تمر بباب إلا
فتح لها ، ولا بملك إلا دعا لها ، وصلى عليها حتى يؤتى بها
الرحمن ، فتسجد الملائكة ، ثم يقولون : هذا عبدك فلان ، قد
توفيته ، وكان يعبدك لا يشرك بك شيئاً ، فيقول : مروه ،
فليسجد ، فتسجد النسمة ، ثم يدعى ميكائيل فيقول : اذهب
بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين ، حتى أسألك عنها يوم
القيامة ، ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعين ذراعاً عرضه ،
وسبعين ذراعاً طوله ، وينبذ له فيه الرياحين ، ويستر بالحرير ،
فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره ، وإن لم يكن معه جعل
له في قبره نور مثل نور الشمس ، ويكون مثله مثل العروس ينام
فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، قال : فيقوم من نومه كأنه لم
يشبع من نومته .

❧ وإذا توفي العبد الفاجر أرسل الله إليه ملكين ، وأرسل
بقطعة من بجاد أتن من كل نتن ، وأخشن من كل خشن ،
فقال : أخرجني يا أيتها النفس الخبيثة ، أخرجني إلى حميم
وعذاب ورب عليك غضبان ، أخرجني وساء ما قدمت لنفسك
فتخرج كأنتن رائحة وجدها أحدٌ بأنفه قط وعلى أرجاء السماء

ملائكة يقولون : قد جاءت من الأرض روح خبيثة ، ونسمة خبيثة ، فتغلق دونها أبواب السماء ، ولا تصعد إلى السماء ، ثم يؤمر فيضيق عليه قبره ، ويرسل عليه حيات أمثال أعناق البخت فتأكل لحمه حتى لا تذر على عظمه لحماً ، ويرسل عليه ملائكة صم عمي ، يضربونه بفطاطيس من حديد لا يسمعون صوته فيرحمونه ، ولا يبصرونه فيرحمونه ، ولا يخطئون حين يضربونه ، ويعرض عليه مقعده من النار بكرة وعشياً ، يدعو بأن يدوم ذلك ، ولا يخلص إلى النار .

وخرج أبو عبد الرحمن النسائي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " إذا احتضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء ، فيقولون : أخرجي راضية مرضياً عنك ، إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريح المسك ، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً حتى يأتوا به باب السماء فيقولون : ما أطيب هذه الريح التي جاءكم من الأرض؟

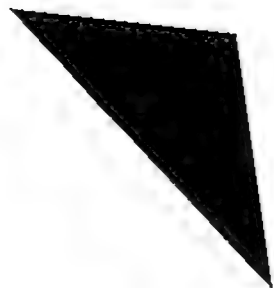
فيأتون به أرواح المؤمنين ، فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه - فيسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة ؟ فيقولون : دعوه ، فإنه كان في غم الدنيا ، فإذا قال : ما

أناكم ؟ قالوا : ذُهِبَ به إلى أمه الهاوية .

وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح
فيقولون : أخرجني ساخطة مسخوطاً عليك ، إلى عذاب الله ،
فيخرج كأنتن ريح خبيثة ، حتى يأتوا به باب الأرض ،
فيقولون : ما أنتن هذه الريح ، حتى يأتوا به أرواح الكفار .
وخرَّج أبو داود الطيالسي ، قال : حدثنا حماد عن قتادة ،
عن أبي الجوزاء ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : إذا قبض
العبد المؤمن جاءته ملائكة الرحمة ، فتسلم تسلم نفسه في حريرة
بيضاء فيقولون : ما وجدنا ريحاً أطيب من هذه ، فيسألونه :
فيقولون :

ارفعوا به ، فإنه خرج من غم الدنيا ، فيقولون : ما فعل
فلان ؟ وما فعلت فلانة ؟

قال : " وأما الكافر فتخرج نفسه فتقول خزنة الأرض :
ما وجدنا ريحاً أنتن من هذه فيهبط به إلى أسفل الأرض " .



إنكار ابن حزم لعودة الروح في القبر والرد عليه

" . . . ذكر أبو محمد بن حزم في كتاب الملل والنحل أن القول بإعادة الروح إلى البدن في القبر خطأ يدفعه القرآن الكريم ويبطله فما مدى صحة هذا القول أو حقيقته مع بيان أدلة التأييد ، أو أدلة النقض ؟ . . "

ذهب إلى إنكار عودة الروح إلى البدن - الإمام أبو محمد بن حزم الظاهري وأنكر أن الميت يحيا في قبره ، آخذاً بظاهر وعموم نص القرآن الكريم مستدلاً بظاهرها على رأيه ، مثل قوله تعالى : ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ (١) .

(١) غافر (٤٠ / ١١) انظر تفسير القرطبي (١٥ / ٢٩٧) والطبري (٢٤ / ٣٢) .

واستشهد أيضاً بقوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ (٢) البقرة (٢٨ / ٢) .
ثم انتهى بعد ذلك إلى رأيه المتوقع وهو نفي السمع عن المقبورين تأسيساً على ما تقدم ، ونعى على القائلين بالسمع مطلقاً ثم طعن في ذلك بسبب أنه لم يأت قط عن رسول الله ﷺ في خبر صحيح أن الأرواح ترد إلى الأموات في خبر صحيح (١) .
وقد انبرى للرد عليه ، الإمام شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية حيث قال :

" ما ذكره أبو محمد - أي ابن حزم - فيه حق وباطل ، أما قوله من ظن أن الميت يحيا في قبره فخطأ فهذا فيه إجمال إن أراد به الحياة المعهودة في الدنيا .

وإن أراد به حياة أخرى غير هذه الحياة بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا ، لئسأل ويمتحن في قبره فهذا حق ونفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح ، وهو قوله ﷺ فتعاد الروح أو روحه في جسده .

أما الإستدلال بقوله تعالى : ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ فلا ينفي ثبوت هذه الإعادة العارضة للروح من

(١) ثم طعن في صحة حديث البراء به عازب وقال إنه حديث ضعيف لكن الواقع غير ذلك ، فهو حديث صحيح ثابت مشهور مستفيض صحيحه كثير من الحفاظ ، ولا نعلم أحداً من أئمة الحديث طعن فيه ، بل صححوه وتلقوه بالقبول ، واحتجوا به كأصل من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه ، وسؤال الملكين ، والله المستعان .

الجسد ، على أن قوله ثم تعاد روحه في جسده لا يدل على مستقرة ، وإنما يدل على إعادة لها إلى البدن ، وتعلق به والر لم تزل متعلقة ببدنها وإن بلي وتمزق^(١).

ثم يقول الإمام ابن قيم الجوزية أيضاً : وأما قوله تعالى : ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ فإمساكه سبحانه التي قضى عليها الموت ، لا ينافي ردها إلى جسدها الميت في وقت ما رداً عارضاً لا يوجب له الحياة المعهودة في الدنيا^(٢).

ثم يستدل على ذلك أيضاً بقوله : " وإذا كان النائم روحه في جسده ، وهو حي وحياته غير حياة المستيقظ ، فإن النوم شقيق الموت وأخوه ، فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحي وبين الميت الذي لم ترد روحه إلى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحي والميت " أه بتصرف .

(١) بتصرف من كتاب الروح للإمام ابن قيم الجوزية بتحقيق السيد الجميلي .

(٢) وحقيقة ذلك أن أحداً لا يستطيع أن يسمع من لم يشأ الله أن يسمعه أي إنما جعل الله لك الاستطاعة على الإنذار الذي كلفك إياه لا على إسماع من لم يشأ الله تعالى إسماعه .

تلقين الميت في قبره

" . . . جرى عمل الناس على تلقين الميت في قبره ،
كذلك لم يرد حديث صحيح في هذا الصدد ، فهل معنى هذا
أن التلقين سنة مندوب إليها ، أم مجرد عمل لا حجية فيه أم أنه
مكروه ؟ . . . " .

إنه على الرغم من أن الحديث المذكور في معجم
الطبراني^(١) عن أبي أمامة هو حديث ضعيف ، إلا أن العمل

(١) أورد حديث التلقين صاحب سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٥٩٩)
وفي كتابه (بدع الخبائر وأحكامها) ص ١٥٦ وفيه عده ضعيفاً وقال : «
ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف ، والعمل به يدعه . ولا
يغتر بكثرة من يفعله » . وقال ابن قيم الجوزية : في هذا التلقين حديث لا
يصح » أهـ . من زاد المعاد (١ / ٢٠٦) .

وقال الصنعاني في سبيل السلام (٢ / ٥٧٧ ، ٥٧٨) : « فيه عاصم بن عبد
الله ضعيف » أهـ .

بالتلقين جرى عليه في سائر العصور ومختلف الأمصار من غير أن ينكر أحدٌ على أحد .

وليس ثمة وجه للإنكار متى كان المقبور سامعاً للأحياء ، فلو كان هذا التلقين بدعة ذميمة لأصفق على استهجان علماء الأمة قدامى ومحدثين ، وهذا لم يحدث .

وقد ورد من حديث أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب ، فليقم أحدكم على رأس قبره ، ثم يقول :

يا فلان ابن فلانه ، يقول : أرشدنا رحمك الله ولكنكم لا تسمعون ، فيقول : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنت رضىت بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن إماماً ، فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما ويقول : انطلق بنا ما يقعدنا عن هذا ، وقد لقن حجته ، ويكون الله ورسوله حجيجه دونها فقال رجل يا رسول الله ، فإن لم يعرف أمه ؟ قال : ينسبه إلى أمه حواء .

والثابت كما ذكر سلفاً ، وكما ورد في سنن أبي داود أن النبي ﷺ حضر جنازة رجل ، فلما دفن قال ﷺ : " استغفروا لأخيكم ، وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل " (١) .

(١) راجع أيضاً الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية للشوكاني (٢٦٨) وتلخيص الحبير (١٣٦/٢) وسبل السلام للصنعائي .

فإن كان المقبورون حين الفراغ من الدفن يسألون في التو
واللحظة ، فلا بدع ، وليس عجيباً وقتئذ أن يسمعوا التلقين .
وبالتالي فإن من يسمع التلقين ، فإنه لا يمنع من إنتفاعه
به من أراد الله سبحانه وتعالى له ذلك .

والحديث الصحيح في هذا عنه عليه السلام أن الميت يسمع قرع
نعاهم إذا ولَّوا عنه منصرفين (١) .

والقرائن الثابتة الصحيحة في هذا الشأن ، والأخبار
المتواترة ، ورؤيا الصالحين تتواطأ كلها على تأكيد هذا وقد
ذكرها جميعاً وانتصر لها واحتج بها الإمام ابن قيم الجوزية في
كتابه (الروح) (٢) .

ولئن كان الإستدلال بالرؤى والمنامات موضع جدل ونزاع
على أساس أن الشريعة مبنية على أصول ولا تؤخذ من المنامات
ولا تعوّل عليها ، بيد أن هذه المنامات متى تواترت ، وتواطأت
من الصالحين والعلماء ، ومتى عضدتها القرائن والأدلة
الأخرى ، كما أنها لم تتعارض مع أصول شرعية أخرى ، فلا
وكف ولا ضير ولا مشاحة من التعويل عليها ، ووضعها
موضع الاعتبار .

ولئن كان إمام الفقهاء ، وشيخ المجتهدين أبو حنيفة
يقول بقبول قول المدعي للحائط بوجود الأجر إلى جانبه ،

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٠١ / ٢٨٧٠) .

(٢) الروح لابن قيم الجوزية بتحقيق السيد الجميلي ص ٣٩ وما بعدها .

وبمعاقد القمط ، كما حكى القرآن الكريم الإحتجاج بقول
الشاهد الذي حكم بالقرينة - وهو شاهد يوسف - وسماه القرآن
شاهداً مع أنه لم يعاين الفعل ، وإنما شهد بالقرينة وتقرر بناء
على شهادته صدق يوسف عليه السلام وكذب امرأة العزيز .

ولئن طعن طاعن في الإحتجاج بشهادة شاهد يوسف
عليه السلام بالقرينة على الزعم بأن ذلك كان شرعاً لمن كانوا
قبلنا ، وهو ليس شرعاً لنا على أحد قولين مشهورين للعلماء ،
فإن هذا الإدعاء مردود ، ومدفوع ، لأن شرع الذين كانوا قبلنا
يعتبر شرعاً لنا إذا قرره القرآن أو سكت عنه ، ولم يرده .
والقرآن في هذه الشهادة بالقرينة قد قررها ولم يردها ، أو
يظهر بطلاناً لها على وجه من الوجوه .

ثم إن الحكم بالقرائن لإستنقاذ الحقوق ، ووضع الحق في
نصابه السليم كان مشهوراً ومنقولاً بالتواتر عن قضاة وفقهاء
المسلمين من العصور الأولى ، والأدلة المنقولة على هذا أكثر من
أن تحصى .

من ثم فإنه لا محل للشك أو الطعن أو الريبة في سماع
الميت الحي ، ومعرفته بزيارته له ، وانتفاعه بتلقيه إياه في قبره ،
فإن هذا أولى وأحرى .

تلاقي الأرواح في القبور وتزاورها

" . . . ورد أن الأرواح في الحياة البرزخية إما في نعيم ترح وتسعد ، وإما في شقاء تتألم وتعذب ، . . . وقد ثبت أيضاً في الأحاديث الشريفة أنها تتلاقى في القبور وغيرها وتتزاور وتتذاكر . . . فكيف يكون ذلك ؟ وكيف يتصور ذلك مع شدة عذاب القبر على بعض هذه الأرواح ؟؟ . . . " .

الأخبار الواردة عن عذاب القبر ونعيمه حق وصدق ولا ينكرها مسلم بحال ، كذلك فإن تلاقي الموتى وتزاور أرواحهم ثابت أيضاً لا سبيل لإنكاره ، ولا محل للطعن فيه .

فإذا ما قيل بصعوبة تصور ذلك لأن بعض هذه الأرواح مشغولة بما هي فيه من العذاب ، وقد يكون مقبولاً أن يكون ذلك في حق الأرواح المسرورة بالمنعمة . . . نقول إن الأرواح المعذبة المحبوسة بذنوبها مكروبة مشغولة بما هي فيه ، وهذا

حقاً لا ينكر ، ولكن الأرواح السعيدة الناجية فإنها ترح وتسرح
طليقة غير محصورة ، وغير محجور عليها ، وما أشبه ذلك بالدنيا
حيث إن السجين الذي يقضي عقوبة في السجن يكون معزولاً
مشغولاً بما هو فيه ، لكن الطليق حر الحركة حيثما شاء من غير
إحصار أو تقييد ، وما أولى وأحرى أن تكون الأرواح كذلك في
الحياة البرزخية في القبور .

ولئن كان الطلقاء يتزاورون فإننا نرى ^(١) أن هذا فيه
تكميل . لمتعة التنعم ، وإفضال عليهم لتقر عيونهم في
برزخهم .

كذلك فإن هذا لا يمنع من تلاقي الأرواح المعذبة أيضاً في
سجونها مثلما يتلاقى السجناء في دار الدنيا في سجونهم ،
ويتذاكرون ، وهذا أيضاً ^(١) من الإغراق في التعذيب والتنكيل ،
فإن مشاهدة العذاب في شتى صورته وأصعبها يجعل المقبور يئن
تحت وطأة عذابه الواقع عليه ، ثم إذا به أيضاً ينوء بأثقال خِلَّائه
وأصفيائه المكروبين مثله ، فلماذا لا يكون هذا التلاقي أيضاً من
نوع العذاب الواقع عليهم في قبورهم ؟؟

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعية والمصاحبة في

(١) هذا رأي المؤلف ، ويرجو أن يكون صواباً ، والله سبحانه وتعالى أكرم وأرجى
أن يعفو ويصفح .

البرزخ في قوله تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع
الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك
راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ (٢) .
أي ادخلي في جملتهم وكوني معهم ، وهذا يقال للروح
عند الموت .

ذكر ابن أبي الدنيا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار
عن عبيد بن عمير قال : إن أهل القبور يتوكفون الأخبار ، فإذا
أتاهم الميت قالوا ما فعل فلان ؟ فيقول صالح : فيقولون : ما
فعل فلان ؟ فيقول : ألم يأتكم أو ما قدم عليكم ؟ فيقولون :
لا ، فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، سلك به غير سبيلنا .

(١) النساء (٤/ ٦٩) .

(٢) الفجر (٨٩/ ٢٧) .

تلاقي أرواح الموتى والأحياء

" . . . ليس غريباً أن يكون هناك التقاء بين أرواح الموتى وأرواح الأحياء لما كان هناك تزاور وتلاقي بين أرواح المقبورين ، بل لعل الأول أيسر ، ولعل الأدلة والقرائن أبين وأدل وأحجى عليه ، نرجو البيان والتبيين . . . " .

إن أقوى دليل هو ما ورد وصرح به القرآن الكريم ، وهو قوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت و يرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١) .

ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي بسنده في قوله

(١) الزمر (٣٩ / ٤٢) .

راجع القرطبي (٢٥٩ / ٥) وما بعدها ، ومختصر ابن كثير (٣ / ٢٢٢) والتفسير الكبير للفخر الرازي (٢٦ / ٢٨٥) .

تعالى : ﴿ والتي لم تمت في منامها ﴾ قال : يتوفاها الله فيلتقي روح الحي ، وروح الميت فيتذاكران ، ويتعارفان ، قال : فترجع روح الحي إلى جسده في الدنيا إلى بقية أجلها ، وتريد روح الميت أن ترجع إلى جسده فتحبس .

وللعلماء في تأويل هذه الآية الكريمة قولان مشهوران : الأول : أن الروح المسكنة من توفيت الوفاة الكبرى أي وفاة الموت أما المرسله فهي تلك التي توفيت الوفاة الصغرى وهي وفاة النوم .

أما القول الثاني : هو أن الروح المسكنة والمرسله كلاهما توفي وفاة النوم ، فالتى استكملت أجلها أمسكها عنده ، فلا يردها إلى جسدها ، ومن لم تستكمل أجلها ، ردها إلى جسدها لتستكمل ولتستوفي أجلها .

ثم إن رؤيا الحي للميت في منامه ، ومخالطته له ، ومحادثته معه وإخبار الميت الحي ببعض الأمور - هو أقوى دليل وأثبت قرينة ، وأحجى برهان على التقاء أرواح الأموات والأحياء .

إن الاخبار الصحيحة التي يدلي بها الميت في المنام إلى الأحياء ، ويثبت أنها عين الحقيقة إنما تدل على التقاء تام واتصال كامل بين الروحين روح الميت ، وروح الحي .

هل الفناء المحض يدرك الأرواح ؟

" . . . هل يدرك الأرواح الفناء المحض ؟ أم أنه مقصور على البدن وحده ؟ أم على كليهما الروح والبدن ؟ . . . " .

تنازع الناس واختلفوا وتباينوا في هذا الأمر كثيراً ، ولكل منهم أدلته وقرائنه وبراهينه ، ونوجز هذه الخلافات في قول طائفة إن كل مخلوق هالك ، ينتهي إلى العدم المحض ، وهذا ما دل عليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ (١) .

(١) الرحمن (٥٥ / ٢٦) .

راجع تفسير القرطبي (١٧ / ١٦٤) والطبري .

واحتجوا أيضاً بقوله تعالى : ﴿ كل شيء هالكٌ إلا وجهه ﴾ (١) .

فإذا كان النص هكذا عاماً وصريحاً وقاطعاً فإنه لا محل ولا تسويغ للخروج عنه بالتأويل غير المقبول فإن معنى النص أن كل مخلوق أيلولته للعدم محتومة .

بيد أن هناك طائفة أخرى أصبحت على نقيض ذلك وعكسه ، وقالت : لا تموت الأرواح ، لأنها مخلوقة للبقاء على التأيد ، وهي لا تبيد كما تبيد الأبدان ، فلا موت للأرواح عندهم .

وقال هؤلاء أيضاً : لو أن الأرواح ماتت ، لا نقطع عنها العذاب والنعيم الذي تشعر به .

واستدلوا على قولهم هذا بأنه على الرغم من الموت للبدن ، ومفارقة الأرواح الأجساد إلا أن الشهداء أحياء عند ربهم ، أي إن أرواحهم لم تمت بموت أبدانهم ، وبانفصال الأرواح عن تلك الأبدان .

(١) الرحمن (٥٥/ ٢٦) .

راجع تفسير القرطبي (١٧ / ١٦٤) والطبري .

قال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ﴾ (١) .

أما القول الحق الذي نرتضيه ، هو أن موت الأرواح غير موت الأبدان ، فإن موت الأرواح إنما هو مجرد مفارقتها للبدن ، والإنفصال عنه ، وليس معنى هذا أيلولتها بعد ذلك للعدم المحض .

أخبر الحق جل شأنه على أن أهل الجنة لا يموتون إلا الموتة الأولى لقوله تعالى : ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾ (٢) .

وقد اتفق على أن الموت ليس عدماً محضاً ، ولكنه انتقال من حال إلى حال .

(١) آل عمران (٣ / ١٦٩ ، ١٧٠) .

(٢) الدخان (٤٤ / ٥٦) .

راجع القرطبي (١٦ / ١٥٥) وجامع البيان للطبري (٢٥ / ٨٢ ، ٨٣) .

تعلق الروح بالجسد

" . . . ما أنواع تعلق الروح بالجسد ، وما أحوال ذلك التعلق في الدنيا وفي الحياة البرزخية ؟ مع ذكر ما يطرأ من تغيير في كل طور من أطوار التعلق . . . ﴿ .
إن للروح بالبدن أنواعاً خمسة من التعلق لكل نوع منها حكمه الخاص الذي ينفرد به ويقتصر عليه دون ما عداه من الأنواع الأخرى .

الأول : تعلق الروح بالجسم في بطن الأم جنيناً .
الثاني : التعلق به بعد الولادة وانفصاله عن أمه .
الثالث : التعلق به جزئياً حال النوم ، ومفارقتة ، ومزاييلته جزئياً .

الرابع : التعلق به في الحياة البرزخية .

الخامس : التعلق به يوم البعث للحساب والجزاء .
والتعلق الخامس والأخير هو التعلق الأكمل والألزم
والأظهر والأحكم ، لأنه تعلق على التأييد ، لا تنفك الروح عن
الجسد إلى غير انتهاء .

أما ما ورد عن رسول الله ﷺ عن رؤية الأنبياء عليهم
السلام ، ليلة الإسراء فقد رأى بعض علماء الحديث أنه رأى
أشباحهم أو أرواحهم ، إذ إنهم أحياء عند ربهم .
فقد رأى رسول الله ﷺ إبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره
إلى البيت المعمور ، كما رأى موسى عليه السلام قائماً يصلي في
قبره ، ثم نعت أشباحهم ، فأما موسى فرآه آدمياً ضرباً طوالاً
كأنه من رجال شنوءة ، وقد رأى عيسى بن مريم يقطر رأسه
كأنها أخرج من ديماس ، ورأى إبراهيم فشبهه بنفسه .
قال علماء آخرون إن الأجساد كانت في الأرض وأنه ﷺ إنما
رأى أرواحهم .

وإن الثابت في الأخبار المتواترة الصحيحة أن الله تعالى حَرَّمَ
على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء (١) .

(١) لأجل ذلك فإنهم أحياء في قبورهم ، لا تنال الأرض منهم شيئاً . انظر
أيضاً المسند (٤ / ٨) .

وثبت في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال : " إن الله حرّم الجنة على الأنبياء حتى يدخلها هو " (١) وأنه ﷺ " أول من تنشق عنه الأرض " (٢) وأنه " أول من يدخل (أو يستفتح) باب الجنة " (٣) .

ثبت أيضاً أن الأعمال تعرض عليه ﷺ في قبره ، ولما سئل عن ذلك من الصحابة كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرميت ؟ فقال : إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء (٤) .
تشير الأدلة القواطع إلى أن روحه ﷺ في أعلى عليين ، وفي نفس الوقت فإن البدن الشريف في القبر يرد السلام على من يسلم عليه من أمته .

كما أن هناك ملائكة موكلين بتبليغه السلام عن أمته
إنه ﷺ رأى موسى يصلي في قبره ، ثم بعد قليل رآه في السماء السادسة أو السابعة ، إذ إن الروح كانت في السماء ، ولها تعلق بالبدن المقبور في الأرض ، إلا أن هذا البدن ليس ميتاً

(١) لأنه أول من يدخل الجنة .

(٢) مسند الإمام أحمد (٣ / ٢ و ٣٢) .

(٣) أحمد في المسند (٣ / ١٤٤) .

(٤) أخرجه الأمام أحمد في المسند (٤ / ٨) .

كما البشر لأن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وهم جميعاً عليهم
الصلاة والسلام أحياء في قبورهم .

وهناك اتفاق ، واصفاق ، وتواطؤ بين كثير من المفسرين
على أن قوله تعالى : ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ إنما أريد
به سماع الإنتفاع ، أي إن الكفار موتى القلوب فلا يسمعون
سماعاً ينتفعون به كما أن الموتى لا ينتفعون بسماعهم .
وليس هذا دليلاً على نفي السماع مطلقاً ألبتة .

عذاب القبر على الروح والبدن معاً

" . . . لأهل الكلام أقوال ولأهل الحديث والسنة أقوال
عن عذاب القبر هل يقع على البدن ، أو هو على الروح أو على
الإثنين معاً ، وقد تنازع الناس تنازعا طويلاً ، واختلفوا اختلافاً
بعيداً ، فما هو الحق والصواب ؟؟ . . . " .

إن مذهب أهل السنة والجماعة باتفاق يذهب إلى أن كلا
العذاب والنعيم في القبر يقع على النفس والبدن جميعاً .

قيل إن الروح تعذب وتنعم متصلة بالبدن ، وتنعم أيضاً
وتعذب منفردة عنه . إلا أن العذاب والنعيم للبدن بدون الروح
فهو عند أهل السنة والحديث والمتكلمين على قولين
مشهورين .

ثم أقحمت المدخولات نفسها بين هذه الآراء من هنا

وهناك ، وفيها ما فيها من الأقوال الشاذة ، والأقوال المنكرة وغير الصحيحة .

وللفلاسفة المنكرين للمعاد والبعث رأي فحواه أن النعيم والعذاب يقعان على الروح فحسب ، وأن البدن لا يقع عليه نعيم أو عذاب البتة ، وهم كفار بإجماع المسلمين .
بيد أن المعتزلة ، وبعض أهل الكلام والذين يقرون بالمعاد والبعث يقولون إن عذاب البرزخ على الأرواح وحسب ، أما البدن فلا يعذب مع الأرواح إلا بعد البعث من القبور ، أي إنهم يرون عذاب الأرواح في البرزخ أما البدن مع الروح فيعذبان يوم القيامة معاً .

من ثم كانت هناك ثلاثة أقوال خاصة بعذاب القبر ، إما أنه على الروح فقط ، وإما أنه على الروح والبدن معاً ، وإما أنه على البدن وحده وحسب .

والناس في تنازعهم على أحوال البرزخ والحياة في القبر من حيث النعيم والعذاب بين مؤيد آخذ بأحد هذه الأقوال الثلاثة ورافض للقولين الآخرين ، وبين منكر ومتردد ، أو مؤيد لهذا ورافض لذاك ، أما القول الباطل اللجوج غير الصحيح فهو ما ذهب إليه المعتزلة ، وطوائف من أهل الكلام ، والأشاعرة من أن

الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب كما أنهم ينكرون أن الروح تبقى بعد مفارقة البدن وهذا القول باطل وغير صحيح بالمرّة .
إن الثابت بالكتاب والسنة واتفاق علماء المسلمين أن الروح تبقى بعد فراق البدن ، وهي إما منعمة أو معذبة ولا يكاد يختلف على ذلك إلا قليل ممن لا يؤبه بهم ولا بأرائهم .
وقد ضل كثير من الفلاسفة وأهل الكلام عندما زعموا بأن البرزخ لا يوجد فيه نعيم أو عذاب وهم بذلك ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، ويعارضون نص الكتاب والسنة ، وإجماع علماء المسلمين .

بيد أن أخطر هذه الأقوال ، وأبشع الفريعات إنما هي المقرونة بإنكار البعث والمعاد لأن في ذلك خروجاً عن إجماع المسلمين ، وإنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة .

إنه في زحمة هذه الاختلافات ، وتباين الآراء والأقوال لا بد من الإشارة إلى مذهب السلف والأئمة المعبرين من هذا وهو أن الميت إذا وضع في قبره يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه .

كما يرون أن الروح تبقى بعد مفارقة البدن ومزاييلته في تنعيم
أو تعذيب ، وأن هناك اتصالاً وثيقاً ، بينها وبينه في بعض
الأحيان ، من أجل ذلك يحصل لها معه النعيم أو العذاب .
في القيامة الكبرى تعود الأرواح إلى أجسادها وتنهض من
القبور فتقوم لرب العالمين ، وهذا المعاد مصدق به من الأديان
الكتابية وهو من أصول عقيدة المسلمين .

من ينكر عذاب القبر

" . . . ما جزاء من ينكر عذاب القبر ؟ وما أوجه الخلاف وتفاوت الإنكار حوله ؟ . . . " .
إن عذاب القبر ثابت بمقتضى السنة الصحيحة والأخبار الصحيحة المتواترة والمشهورة من غير نكير من الأدلة والبراهين والقرائن الثابتة .

ولا ينكر عذاب القبر إلا ضال مضلل مضل ، إذ إن الذي يرد ما جاء به النبي ﷺ يكون راداً لأمر الله تعالى الذي أمرنا بقبوله واتباعه ، وقد قال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ (١) وما الرسول ﷺ إلا مبلغٌ أمر ربه ، من ثم كان واجباً على المسلم القبول والرضى والتسليم وأما ما لا يوافق عقل الإنسان ، أو يخرج عن دائرة تصوره وفقهه وفهمه ، - فإن عليه

(١) الحشر (٥٩/٧) .

الإيمان به والقبول له ، وتفويض الحقيقة فيه لله سبحانه وتعالى .
ذهبت طائفة من المعتزلة منهم أبو علي الجبائي الشيخ
المعروف إلى حقيقة عذاب القبر ، ولكنهم جعلوه مقصوراً على
الفساق والعصاة ، والهاالكين على التأييد الخالدين في جهنم
أبدًا ، وجعلوه منفيًا عن المؤمنين والصالحين الناجين
وأقول : إن هذا التقييد لم يرد في كتاب الله ولا في السنة
الصحيحة ما يشير إليه أو يقره من قريب أو بعيد . حيث إن
الأخبار جاءت على عمومها ، حتى إن التخصيص في بعضها لا
يدل على نفي عموم البعض الآخر .

ثم إن الكرامية المجسدة كانوا ذهبوا إلى التسليم بحقيقة
عذاب القبر على المؤمنين ، لكن هذا يكون مقصوراً على الأبدان
وحدها من غير أثر له على الأرواح ، وهذا باطل ظاهر البطلان .

ردود على الملاحدة

" . . . لقد عمد بعض الناس إلى مراقبة القبور والمقبرين بعد الدفن في القبور ، فلم يجدوا ناراً ولا فسحة ولا ملائكة ولا مقامع ولا شيء من هذا ولا ذاك على الإطلاق ، فما القول في هذا وبم يعلل في مواجهة النصوص الصحيحة التي تقطع بنعيم القبر وعذابه ؟ . . . "

إن الكلام على القبر وعذابه ونعيمه ، بل على الحياة البرزخية إجمالاً إنما هو كلام على الغيب الذي تختلف أحواله وأحكامه عن أحوال وأحكام الدنيا ، لأن عالم الغيب يختلف اختلافاً كبيراً لأن قوانينه ، وأحكامه نعرفها تماماً ، وأيسر ذلك أن اليوم في الدنيا غير اليوم في الآخرة وإن تشابهاً للأسماء في الدنيا غير طبيعة المسميات في الآخرة فالأسماء واحدة والمسميات مختلفة تماماً .

وليس ضرورياً أبداً أن يناسب كل شيء في الغيب مع العقل البشري ، إذ إن العقل الإنساني محكوم أيضاً ، بقوانين الدنيا ، ومع هذا ظهرت أشياء في الدنيا فوق محيط العقل وخارجة عن دائرة الزكاة ، وبعيدة عن الإحتمالات ، ولولا أن القرآن الكريم حدثنا عنها لكانت خارج نطاق التصور والتخيل .

مثلاً أي عاقل يصدق أن تتكلم نملة ، فيسمعها إنسان ، ويفقه قولها ؟ ثم من يصدق أن يتكلم طفل وليد في المهد ، إلى غير ذلك من الخوارق والمعجزات ، إن الخوارق التي لا تدركها العقول لمخالفتها المتواتر والمألوف لا بد من تصديقها لأنها معجزات النبوة ، ولولا أن التصديق لها والتسليم بها من الأمور الواجبة المحتومة ، بل وجعلها أصلاً من أصول الدين - لما كان للإيمان بالغيب معنى ولما كان الإيمان بالغيب لازماً .

إن الإيمان بالغيب تسليم بالثقة بقدرة الحق سبحانه تعالى : لأنه قادر على كل شيء ، وأنه وحده القائل للشيء كن فيكون ، وأنه عز وجل إذا أراد شيئاً لا يمنعه شيء * .

لما أراد بعض الماديين أن يحققوا ويستثبتوا من عذاب القبر ونعيمه - على حد فكرهم - فوضعوا عدسات ومجاهر وأجهزة تنصت وتسجيلات ، ولكنهم لم يجدوا ولم يسمعوا شيئاً ، وبهذا كانت حجتهم للإنكار . . .

وإن كل ما عمدوا إليه وفعلوه ليس ذريعة ، ولا فيه أدنى

حجة لمجرد الإرتياب أو الشك على الإطلاق إذ إن القبر وعذابه ونعيمه من غيب الله الذي لم يطلع عليه أحداً ، وقد رآه رسول الله ﷺ بمقتضى النبوة ، ولكن هذا محجوب عنا ، لا تدركه حواسنا البشرية المحدودة ، لأن أحداثه الجسام لا تناسبها التركيبة البشرية البسيطة .

ثم إننا نلقت النظر إلى مسألة دقيقة لطيفة ، وهي أن الروح قد حجب الله علمها عنا وجعلها من أمره وحده سبحانه وتعالى ، فكيف نعرف أحكامها ومتعلقاتها وأحوالها ، ونميزها من غيرها وهي محجوبة عنا أصلاً ، لا نعرف لها تكويناً ولا تركيباً ولا صورة ولا هيئة ولا أمانة

لما سئل الإمام مالك - رضي الله عنه - عن الإستواء في قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ قال : الإستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

وما قال مالك هذا إلا لأنه - وهو من هو علماً وفقهاً ونسكاً وتورعاً - يعلم تماماً أن ذلك من غيب الله ولا تخلو المجازفة في الخوض فيه من خطر شديد غير مأمون العاقبة

بل إن كثيراً من العلماء والصالحين يرون في الكلام على مثل الأمور الغيبية حرجاً شديداً فيؤثرون السكوت عن ذلك سلوكاً لسبيل التحوط ، وإيثاراً للسلامة ، لأن في الجدل في ذلك واللجاجة ما فيها من أخطار .

لذلك فإن الذي يطبق أحوال عالم بقوانين عالم آخر يعتبر

من الغالين والمسرفين بل والجاهلين .

نحن نعرف أن هناك ثلاثة عوالم ، الدنيا وما يتصل بها من قوانين وأحكام ، كذا فإن القبر والحياة البرزخية محكومة بقوانين وأحكام خاصة مغايرة ومخالفة لأحكام الدنيا تماماً .

ثم إن البعث والحشر والجمع يوم القيامة ، والعرض على الله تعالى واللجنة والنار وأحكام الحياة الآخرة ، وقوانينها الخاصة بها أيضاً تختلف عن الدنيا وعن الحياة البرزخية تماماً .

وكما أسلفنا فإنه من الخطأ الجسيم أن تسبر غور عالم بقوانين عالم آخر ، وهذا ضرب من المحال وفيه من المغالاة ما يضر بعقيدة المفتون المستدرج .

إن كل عالم من هذه العوالم الثلاثة له ما يناسبه من الأحكام والقوانين ، وهي غيب لا يعلم حقيقته إلا الله سبحانه وتعالى .

ثم إن المحاولات لإستقصاء التفاصيل التي حجبت عنا ما هو إلا علم لا ينفع ، وجهل لا يضر بل إن الفتنة في مثل هذا أخطر وأدنى ، والسكوت عنه أحرى وأقمن وأوجب بل وأسلم أيضاً .

المعروف أن الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - قد جاؤوا بأخبارهم على قسمين :

الأول : ما يوافق العقول ، ومقتضيات الفكر البشري المعاصر لكل منهم .

الثاني : ما لا تدركه العقول والأفهام وهو الغيب وينضوي تحته الحياة البرزخية في القبور، ومواقف يوم القيامة ومشاهدها .

ثم إن الإيمان بالغيب واجب وأصل من أصول الدين ، لأنه يكون تصديقاً وثقة بالله تعالى وما يأتي به رسوله ﷺ بإذنه من أخبار . وغيبات فوق ما تدركه العقول والفهوم .

قال تعالى : ﴿أفمن يعلم أنها أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ (١) .

قال تعالى : ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حيثئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ (٢) .

وذكر عن سماك بن حرب قال : مر أبو الدرداء بين القبرين فقال : ما أسكن ظواهرك ، وفي داخلك الدواهي .

إنَّ الذي يتأمل قدرة الله ، فإنه لا يتعاضمها شيء ، ومتى كان الفعل أو الشيء منصوباً عليه ، واردة في الأخبار الصحيحة ، فلا وجه إلى البحث عن الكيفية ، أو عن الفعل أو المناط والعلة .

(١) الرعد (١٣/ ١٩) .

(٢) الواقعة (٥٦ / ٨٣ ، ٨٤) .

على من يقدر الله حق قدرته ، ويقر بالنبوة على الوجه
الإيماني الصحيح أن يقبل كل خبر إيماني بالتصديق المطلق من
غير أدنى ترجم أو تظني أو حدس أو تحزير .

لما قيل لأبي بكر رضي الله عنه : إن صاحبك يزعم أنه
أسري به الليلة ، ثم عرج إلى السماوات العلا . . ما كان من أبي
بكر - رضي الله عنه - إلا أن قال : لئن كان قال ذلك لقد
صدق . هذا هو اليقين الإيماني الصادق ، والثقة بكل ما جاء به
رسول الله ﷺ ، لأنه الصادق الصدوق فوق كل ريبة ، وأبعد
من أي ظنة .

عذاب القبر محجوب عن البشر. لماذا؟

" . . . لماذا كان عذاب القبر محجوباً عن البشر؟ . . . "

إن العلة في كون عذاب القبر محجوباً عن البشر – هي
الرحمة ، والحذب والشفقة على خلق الله ، إذ إنهم لا يطيقون
رؤية تلك المشاهد أو سماعها لأنها كالصواعق المرسلة ، تخطف
الأبصار ، وتشيع الذعر بين الرائي لها وسماعها .

عذاب القبر للمحروق والمصلوب والغريق

" . . . كيف يكون عذاب القبر للمحروق الذي أصبح رماداً أو صار جسمه ذرات دقيقة متناثرة ، كذلك المصلوب ، والغريق مع أن أحداً من هؤلاء لم يقبر ، وليس موضوعاً في قبر حتى ينسحب عليه ، وينضوي تحت أحكام المقبورين من العذاب أو التنعيم ؟ . . . "

إننا قلنا في أكثر من مرة وموضع إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً لا يمنعه شيء .

إن الذي أمره بالكاف والنون ، بيده مقاليد كل شيء لا يستعصي عليه فعل ، ولا يخرج عن إرادته أي شيء مهما كان ، لأنه القائل للشيء كن فيكون .

(١) يس (٣٦ / ٨٣) .

راجع الطبري (٢٣ / ٢١) والقرطبي (١٧ / ٥٧) والبحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٤٧) .

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ (١) .

كذلك فإن عدم وقوف العقل البشري ، والحس الإنساني على حقيقة الأشياء - ليس هذا دليلاً يقدح في وجودها وكثير من الأمور الشرعية يؤديها المكلفون ولا يراهم أحد ولا يعرف ذلك ، فلا يسمع الإنسان تسبيح الحصى والشجر والجبال وغيرها ، وليس معنى عدم السماع - الإنكار أو القدح في العقل ، والطعن عليه والزراية منه والريبة فيه .

قال تعالى : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (١) .

وقال عز من قائل : " إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق " (٢) .

وقال أيضاً : " يا جبال أوبي معه " (٣) .

وقال : " ألم تر أن الله يسجد له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه " (٤) .

وقال : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ﴾ (٥) .

(١) الإسراء (١٧ / ٤٤) . راجع القرطبي (١٠ / ٢٦٦) .

(٢) ص (٣٨ / ١٨) .

(٣) سبأ (٣٤ / ١٠) .

(٤) النور (٢٤ / ٤١) .

(٥) الحج (٢٢ / ١٨) .

عذاب القبر ونعيمه هو عذاب البرزخ ونعيمه

" . . . هل عذاب القبر ونعيمه هو نفسه عذاب البرزخ
ونعيمه ، أم أن هذا غير ذاك ؟؟ . . . "

إن الحق الذي لا يقبل الإمتراء ، والصدق غير المدحوض
هو أن عذاب القبر ونعيمه هو نفسه عذاب البرزخ ونعيمه . ثم
إن القبر أو البرزخ إما روضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من
حفر النار .

كذلك فإن المصلوب والغريق والمحروق ، وأكيل السبع
والطيور والوحوش له نصيبه في البرزخ من النعيم والعذاب ،
وهذا النعيم أو العذاب يقع على الذرات والدقائق المتناهية
الصغر .

إن هذه الدقائق والذرات غير المرئية يقع عليها النعيم
والعذاب بالطريقة التي لا نعلمها نحن ، وهي لا تستعصي على
بارئها وخالقها ، لأنه قادر على أن يفعل ما يريد إذ إن أمره
بالكاف والنون ، لأن قدرته غير محدودة .

مراجع الكتاب الأساسية

- ١- القرآن الكريم
- ٢- أحوال الموتى وسؤال الملكين في القبر للسيد الجميلي .
- ٣- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي بتحقيق السيد الجميلي .
- ٤- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن قيم الجوزية .
- ٥- الروح لابن قيم الجوزية .
- ٦- تفسير الألوسي .
- ٧- تفسير الطبري .
- ٨- تفسير القرطبي .
- ٩- تفسير الجلالين .
- ١٠- تفسير الكشاف للزمخشري .
- ١١- تفسير ابن كثير .
- ١٢- تفسير البيضاوي .
- ١٣- تفسير ابن عباس .
- ١٤- سنن أبو داود .
- ١٥- سنن النسائي .
- ١٦- جامع الترمذي .
- ١٧- سنن ابن ماجه .
- ١٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل .
- ١٩- صحيح البخاري .
- ٢٠- صحيح مسلم .
- ٢١- الجامع الصغير للسيوطي .
- ٢٢- المقاصد الحسنة للسخاوي .
- ٢٣- جمع الجوامع للسيوطي .
- ٢٤- مواقف يوم القيامة للسيد الجميلي .
- ٢٥- مستدرك الحاكم .
- ٢٦- نيل الأوطار للشوكاني .
- ٢٧- نصب الراية للزيعلي .
- ٢٨- بداية المجتهد ونهاية المقتصد .
- ٢٩- إحياء علوم الدين للغزالي .
- ٣٠- كشف الخفاء للعجلوني .

فهرس الكتاب

٧	إهداء
٩	المقدمة
١٥	القبر ومنزلته
١٩	تأذي الميت من جار السوء
٢١	كلام القبر للمقبور ، إذا وضع فيه
٢٥	ضغطة القبر للصالح والطالح
٢٩	يعذب الميت بما نيح عليه
٣٣	عذاب القبر حق
٣٩	عذاب القبر تسمعه البهائم
٤١	سماع الموتى الأحياء
٥٧	القول الثابت
٥٩	ما ينجي من فتنة القبر وعذابه
٦٥	عرض مقعد الميت عليه بالغداة والعشي
٦٩	سؤال الملكين في القبر
٧٩	أحوال الموتى عند الموت وفي القبور
٨٩	إنكار ابن حزم لعودة الروح في القبر والرد عليه
٩٣	تلقين الميت في قبره
٩٧	تلاقي الأرواح في القبور وتزاورها
١٠١	تلاقي أرواح الموتى والأحياء
١٠٣	هل الفناء المحض يدرك الأرواح ؟
١٠٧	تعلق الروح بالجسد
١١١	عذاب القبر على الروح والبدن معاً
١١٥	من ينكر عذاب القبر
١١٧	ردود على الملاحدة
١٢٣	عذاب القبر محجوب عن البشر لماذا ؟
١٢٥	عذاب القبر للمحروق والمصلوب والغريق
١٢٧	عذاب القبر ونعيمه هو عذاب البرزخ ونعيمه

هذا الكتاب

ليس الموت عدماً محضاً ، ولكنه نقلة من هنا إلى هناك .

يتوهم كثير من الناس أن الموت هو نهاية كل شيء ، فإن الأدلة تؤكد أنه بداية أخرى لحياة أبدية ، حافلة بالأحداث الجسام .

في هذا الكتاب خمسة وعشرون سؤالاً عن نعيم القبر وعذابه ، وجهها قراءً من مختلف البلدان ، على مدى سنوات ، إلى المؤلف ، الدكتور السيد الجميلي ، فأجاب عليها باختصار وتركيز في بعض الأحيان ، وبشمول وإحاطة في أحيان أخرى .

الناشر